كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

جوانب من حياة اليهود بالمغرب الأقصى في عصر بني مرين

(٦٥٦-٨٦٩هـ/١٢٥٨-١٤٦٥م)

إعداد

د/ محمد جاب الله على

مدرس التاريخ الإسلامي
في كلية الدراسات الإفريقية العليا – جامعة القاهرة

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء الثالث)

(١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

جوانب من حياة اليهود بالمغرب الأقصي في عصر بنى مرين (٦٥٦-٨٦٩ هـ /١٢٥٨-١٤٦٥م)

محمد جاب الله على
قسم التاريخ – كلية الدراسات الإفريقية العليا – جامعة القاهرة – مصر
البريد الإلكتروني : gabala_ma@cu.edu.eg

الملخص :
يتناول هذا البحث جوانب من حياة اليهود في بلاد المغرب الأقصى خلال العصر المريني. ذلك العصر الذي شهد خروج أعداد كبيرة من يهود أوروبا إلى مختلف أنحاء العالم. كانت بلاد المغرب الأقصى هي أقرب المقاصد التي قصدها اليهود، وعاش اليهود في كنف المجتمع الإسلامي حياة كريمة بعد ما تعرضوا له من اضطهاد في أوروبا، لا سيما في شبه الجزيرة الأيبيرية. ويهدف البحث إلى إظهار مدي مشاركة اليهود في العمل السياسي، وفي المجال الاقتصادي في دولة بني مرين. يهدف كذلك إلى إبراز مدي الحرية التي تمتع بها اليهود في المجتمع المغربي آنذاك على الصعيدين الاجتماعي والديني، وذلك مقارنة بما عانوه من اضطهاد في أوروبا.

الكلمات المفتاحية : بنى مرين– اليهود– الجوديكا– المغرب الأقصى – الاضطهاد

Aspects of the life of the Jews in the far Maghreb in the era of Bani Marin (656 – 869 AH / 1258 – 1465 AD)

Muhammad Jab Allah Ali
Department of History , faculty of African Postgraduate studies - Cairo University - Egypt
Email : gabala_ma@cu.edu.eg

Abstract

This research deals with aspects of the life of Jews in the countries of the Far Maghreb during the Marine era. That era, which witnessed the exodus of large numbers of European Jews to various parts of the world. The Far Maghreb was the closest destination the Jews had ever meant, Jews lived in the Muslim community with a decent life after being persecuted in Europe, especially in the Iberian Peninsula. The research aims to show the extent of Jewish participation in politics and in the economic sphere in the state of Ben Marin. It also aims to highlight the social and religious freedom enjoyed by Jews in Moroccan society at the time. This compared to what they have suffered from persecution in Europe.

Keywords: Ben Marin, Jews, Judica, Far Maghreb, Persecution

تقديم

يتناول هذا البحث جوانب من حياة اليهود في بلاد المغرب الأقصى خلال عصر بني مرين، وذلك منذ بداية الدولة المرينية في بلاد المغرب منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وحتى نهايتها في منتصف القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي. وجاءت الدراسة عبر تمهيد وخمسة مباحث وخاتمة، هي على النحو التالي:-

المبحث الأول: المصادر الأصلية لدراسة حياة اليهود بالمغرب

المبحث الثاني: اليهود في المجتمع المغربي في العصر المريني

المبحث الثالث: حياة اليهود السياسية والاقتصادية في العصر المريني

المبحث الرابع: حياة اليهود الاجتماعية بالمغرب في العصر المريني

المبحث الخامس: الحياة الدينية لليهود في المغرب في العصر المريني

وبعد عرضنا لجوانب من حياة اليهود في المغرب الأقصى خلال عصر بني مرين عبر المباحث سالفة الذكر تأتي الخاتمة، التي ترصد أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتي منها الحرية الكبيرة التي تمتع بها اليهود في مجتمع المغرب الأقصى في وقت كانوا يعانون فيه الاضطهاد في أماكن أخري، وقد شملت الحرية التي نعموا بها ممارسة شعائرهم الدينية، وإقامة احتفالاتهم الدينية في أمان كامل. وفضلًا عن ذلك حظي اليهود بثقة كبيرة من جانب ملوك بني مرين، وقد برز ذلك من خلال توليهم العديد من المناصب السياسية الكبيرة في الدولة المرينية.

تمهيد

شهد المغرب الإسلامي بزوغ نجم عدة دول كبيرة تمتعت باستقلال تام عن الخلافة الإسلامية في المشرق الإسلامي، وقد كانت دولة بنى مرين إحدى أهم تلك الدول؛ إذ لعبت دورًا مهمًا في تاريخ المنطقة في الفترة من منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وحتى منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

وارتبط قيام دولة بنى مرين بعوامل عدة سياسية واقتصادية ودينية، بل امتد الأمر إلى العامل القبلي. أما على الصعيد السياسي، فقد بدأت سلطة الموحدين وقبضتهم القوية تتراخى وتتدهور منذ هزيمة العقاب ٦٠٩هـ/١٢١٢م[١]، فتوالت الانكسارات على الصعيدين الداخلي والخارجي، خاصة مع إهمالهم تقوية الجيش بعد موت الناصر الموحدي(٦١٠هـ/١٢١٣م) مما عجل بسقوط دولة الموحدين[٢].

وفضلًا عن ذلك لم يضع الموحدون منذ قيام دولتهم التي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بشخصية المهدى بن تومرت(٥١٥- ٥٢٢هـ/١١٢١-١١٢٨م) نظامًا ثابتًا للحكم، وقد أدى ذلك لمشكلتين كبيرتين في بنية الدولة. أما الأولى فقد سادت روح التنافس بين الأمراء الموحدين للوصول للسلطة، وأما الثانية وهى مترتبة على الأولى فقد أدى الصراع في مركز الدولة إلى تفكك أطرافها، فسعى ولاة الأقاليم الموالين للموحدين للاستقلال بولاياتهم، كالحفصيين في المغرب الأدنى، بنى زيان في المغرب الأوسط، وبني نصر في غرناطة، وأخيرًا بني مرين في فاس، وهم الذين وجهوا للموحدين الضربة القاضية التي قوضت دولتهم[٣].

وأما على الصعيد الاقتصادي، كانت مشاكل المجاعات والجدب في الأراضي الصحراوية التي سكنها بنو مرين منذ أواسط القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، لا تتناسب ومقدار ما فرضه الموحدون من إتاوات وضرائب باهظة على

كافة أطياف المجتمع المغربي، مما أدى في نهاية المطاف إلى انتقال بنى مرين من مراكزهم الصحراوية إلى المناطق الساحلية، بل وخرجوا على سلطة الموحدين، وتجلى ذلك في مهاجمتهم للقوافل التجارية وللقرى والمزارع، فعجل ذلك بسقوط دولة الموحدين(٤).

وأما ما يخص الجانب الديني، فبرغم النشأة الدينية التي قامت عليها دولة الموحدين من الدعوة إلى التوحيد، والنهى عن المنكر، والأمر بالمعروف، فقد نظر المهدى بن تومرت إلى المرابطين على أنهم مارقين عن الدين، فقال لأتباعه: "اقصدوا هؤلاء المارقين المبذلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماطة المنكر وإحياء المعروف"(٥)، إلا أن الغموض الذي أحاط بالمهدى بن تومرت، وتلقبه بالمعصوم، وتلقب ملوكها – ولأول مرة – في بلدان المغرب الإسلامي بلقب الخليفة، كما أنهم وبحسب ابن غازي قاتلوا المسلمين قتال كفر، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية، واستباحوا الأموال، حتى ضجر منهم الناس، ولقبهم البعض بالخوارج(٦).

وفيما يخص العامل القبلي، فلا يمكن بحال من الأحوال إنكاره، إذ كان مرجحًا في الصراع الذي قام بين المرينيين والموحدين، فبنو مرين دخلوا تاريخ المغرب حوالى ٦١٢هـ/١٢١٥م، وكانوا حتى ذلك الوقت لا يمثلون سوى قبيلة بربرية تدور كغيرها من القبائل في كنف الموحدين(٧). استثمر بنو مرين العوامل سالفة الذكر وواجهوا الموحدين ككتلة قبلية شملت كافة المتمردين على حكم الموحدين، غير أن عمادها الرئيس هم زناتة المغرب الأوسط، فكان لهذا الحلف القبلي أثر كبير في انتصارات بنى مرين على الموحدين فيما بعد(٨).

كان لتلك العوامل أثرها الواضح في ضعف وتدهور دولة الموحدين، وعلى الجانب الأخر بزغ نجم بنى مرين الذين سرعان ما انضم إليهم كل الرافضين لحكم

الموحدين، ولم يمض من الوقت الكثير حتى سقطت دولة الموحدين، وصعد بنو مرين إلى سدة الحكم في المغرب الأقصى. فقد سيطر المرينيون على مساحة كبيرة من الأرض في شمال أفريقيا امتدت من وادى ملوية شرقًا حتى المحيط الأطلنطي غربًا، ومن البحر المتوسط شمالًا حتى الحواف الشمالية للصحراء الكبرى جنوبًا[٩]

وعلى مدى ما يزيد على قرنين من الزمان أسهم المرينيون قدر استطاعتهم في تحقيق وحدة الأراضي التي بسطوا سيطرتهم عليها، كما ساندوا بقوة إخوانهم المسلمين في بلاد الأندلس ضد الهجمات النصرانية، وحققوا في هذا المضمار انتصارات لا تقل بحال من الأحوال عما حققه أسلافهم من المرابطين والموحدين[١٠]. غير أن ما يميز عهد دولة بنى مرين ذلك التعايش السلمي الذى نعم به أهل الذمة، وبخاصة اليهود الذين أخذت أعدادهم في التزايد ببلاد المغرب الأقصى يومًا بعد يوم؛ وذلك تزامنًا مع تعرضهم لاضطهادات ومضايقات شديدة في أوروبا بأثرها، ومن جانب أخر بفضل تلك المعاملة الحسنة التي تمتعوا بها في بلاد المغرب على عهد بنى مرين. وهذا ما سوف نتعرض له في هذا البحث عن حياة اليهود ببلاد المغرب في عهد بنى مرين.

المبحث الأول

المصادر الأصلية التي اعتمد عليها البحث لدراسة حياة اليهود بالمغرب في العصر الوسيط

تعددت مصادر دراسة حياة اليهود بالمجتمع المغربي في عصوره المختلفة، غير أن هذه الدراسة تعتمد بالأساس على مصدرين مهمين غير تقليديين لدراسة حياة اليهود بالمغرب خلال العصر المريني، وهما النوازل الفقهية والموسوعة اليهودية(الجوديكا).

١- كتب النوازل وأهميتها في دراسة المجتمع المغربي في العصر الوسيط:

إن دراسة حياة اليهود في المغرب في العصر الوسيط تتطلب الاعتماد على مصادر غير تقليدية لدقة وضع تلك الفئة في أوساط المجتمع المغربي، وبالبحث في مصادر تاريخ المغرب وجد أن النوازل الفقهية لذلك العصر تضم الكثير من المعلومات عن كافة جوانب حياة اليهود في بلاد المغرب، فكان من الطبيعي أن يعتمد الباحث في دراسته هذه على جانب كبير من تلك النوازل.

بداية وقبل أن نشرع في الحديث عن كتب النوازل وأهميتها في دراسة المجتمعات لابد أن نتعرف أولًا على معنى النوازل، وصفاتها. فالنازِلة لغة: هي الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، وجمعها نوازِل[١١].

أما النازلة اصطلاحًا: فهي اسم للمسائل الجديدة التي تتطلب اجتهادًا، قال ابن عبد البر: "باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص في حين نزول النازلة"[١٢]. وعليه فقد فتحت النوازل باب الاجتهاد أمام الأئمة، غير أن هذا الاجتهاد كان في الفروع دون الأصول التي لا اجتهاد فيها[١٣].

وقد عرّفها بعض أهل العلم: أنها ما استدعى حكمًا شرعيًا للوقائع المستجدة[١٤]، وللنازلة أوصاف محددة تتصف بها، منها أن تكون واقعة، وجديدة

وشديدة. ويتجه الباحثون إلى تقسيم النوازل إلى نوازل فقهية وأخرى غير فقهية. الفقهية: هي تلك المتعلقة بالأحكام الشرعية العملية، بينما ترتبط غير الفقهية: منها بالمسائل العقدية كظهور الفرق والنحل وبعض صور الشرك المستحدثة[١٥].

ومن ثمَّ فالنوازل الفقهية: هى الأقضية الطارئة والمنازعات المستجدة التي تُعرض على القضاة والمفتين، وما ينتج عنها من فتاوى، وقد أضحت أحكام وكتب تلك النوازل تمثل سجلًا حافلًا بالكثير من المعلومات التي تقدم لنا صورة شبه متكاملة عن حياة مجتمعات المغرب والأندلس خلال العصر الإسلامي[١٦]؛ إذ بات الفقه هو ملاذهم لمواكبة التطورات الحياتية التي صارت تحمل لهم كل يوم نازلة جديدة[١٧]. ومن هنا تأتي أهمية فقه النوازل حيث يكشف عن دقائق الأحداث والمواقف داخل المجتمع[١٨].

وخلاصة القول في النوازل وأحكامها أنها كانت وليدة حاجات وظروف المجتمع، وأنها ربطت بين الفقه وأصوله، وعقدت الصلة بين الحكم وتطبيقه؛ فيصدر عن المفتين أحكام واقعية قابلة للتطبيق. كذلك أبرزت النوازل شمولية الدين الإسلامي وسعته في استيعاب ما يستجد من قضايا بتشريع شامل وصالح لسياسة الناس وإرشادهم، فأظهرت للدين صَفَاءَه وقدرته على القيادة[١٩]، فالصورة التي تعكسها كتب الفتاوى والنوازل عن المجتمع وقضاياه صورة واضحة وواقعية وصادقة[٢٠] مسرحها البيوت والأسواق والطرقات ودور الصناعة والتجارة والمزارع ومراكز العلم[٢١].

كل ذلك أدي لازدهار الفقه النوازلي في بلدان المغرب، وفي الأندلس، فظهرت العديد من المصنفات النوازلية، بداية من نوازل ابن شبطون (ت٣١٢هـ/٩٢٤م)[٢٢]، وابن لبابة[٢٣] (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)[٢٤]، وصولًا إلى نوازل البُرزلي (ت٨٤١هـ/١٤٣٨م)[٢٥]، والونشريسي (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)[٢٦]. ومن ثمَّ

صارت النوازل الفقهية تمثل، مع عدة مصادر أخرى غير تقليدية – منها كتب المناقب والعقود العدلية– معينًا لا ينضب لدراسة المجتمعات الإسلامية عامة، ومجتمعات المغرب الإسلامي خاصة، وهذا لسعة انتشار تلك المصادر في بلدان المغرب الإسلامي.

٢- **موسوعة الجوديكا** (Judaica)

هى موسوعة يهودية (Jewish Encyclopedia)، تُعد بمثابة سجل وصفي لحياة اليهود وتاريخهم وآدابهم وعاداتهم من أقدم العصور حتى العصر الحديث. وتأتى أهمية تلك الموسوعة من اهتمامها بتاريخ كافة الجماعات اليهودية التي تشتت وعاشت في كنف مجتمعات أخري. وتتمثل أهمية الجوديكا أيضًا في رصد كاتبيها أو جامعيها كافة تفاصيل حياة اليهود السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية.

ومن هذا المنطلق يمكننا القول: إن الجوديكا تسعى إلى إلقاء الضوء على دور اليهود في تنمية التطور الفكري والتقدم الاجتماعي للبشرية على مر العصور؛ وذلك بحجة أنه لو ترك الأمر دون توضيح لا يمكن تمييز مشاركة اليهود في النشاط الإنساني، فكان لابد من وجود سجل لنشاطات اليهود المتعددة في مختلف مناحي الحياة(٢٧).

أضف إلى ذلك، تمثل الجوديكا سجلًا يحفظ العادات والتقاليد الاجتماعية لليهود، خاصة في ظل حياة التشتت والترحال التي عاشتها الجماعات اليهودية في مختلف أرجاء العالم. كما أن الجوديكا تسعى إلى إبراز ووصف علاقات اليهود بالبيئة المحيطة بهم على صعيد العقائد والشعوب، هذا في ظل الخصوصية التي أحاطوا أنفسهم بها. ومن هنا تمثل تلك الموسوعة رصدًا دقيقًا لحياة اليهود وتفاعلاتهم في مختلف البقاع التي عاشوا فيها، ومن ثمَّ لا يمكن لأي باحث فيما

يخص اليهود أن يغض الطرف عن هذا المصدر المهم الذى يمثل وجهة النظر اليهودية في تاريخ اليهود، واسهامهم في التقدم الإنساني.

وفي موضوع بحثنا هذا أمدتنا تلك الموسوعة بكثير من المعلومات حول حياة اليهود في بلاد المغرب الأقصي في العصر المريني. ويمكننا القول باطمئنان: إن كثيرًا من المعلومات التي حصلنا عليها من موسوعة الجوديكا جاءت متوافقة مع كثير من المعلومات التي رصدتها النوازل الفقهية، كما يمكن القول بصفة عامة: إن الجوديكا حافلة بالمعلومات حول حياة اليهود في مجتمع المغرب الأقصى، كما هو الحال في رصدها لحياة اليهود في مجتمعات أخرى، ولكنَّ المفارقة الحقيقية أنه تبين من خلال موسوعة الجوديكا الوضعية الجيدة التي اكتسبها اليهود في بلاد المغرب الأقصي عنها في بلدان أخرى في أعقاب طردهم من أوروبا، وبخاصة من بلاد الأندلس في أعقاب طرد المسلمين منها.

المبحث الثاني

اليهود في المجتمع المغربي في العصر المريني

(٦٥٦-٨٦٩هـ/١٢٥٨-١٤٦٥م)

ينتمى المرينيون إلى قبائل زناته البربرية وموطنهم الأصلي بين تلمسان وتاهرت[٢٨]، وقيل فكيك[٢٩] في المغرب الأوسط، وهم من ولد مرين بن ورتاجن[٣٠] ينتهي نسبهم إلي مضر بن نزار بن معد، فهم عرب في الأصل[٣١]. وقال الملزوزي(ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) في شرف نسبهم: مع النبي يلتقون في مضر، أكرم به نسب لا يحتقر[٣٢]

ونظرًا لقوة قبائل زناته استعان بهم المرابطون والموحدون في الخدمات الحربية، خاصة في الجهاد بأرض الأندلس. ولما ضعفت شوكة الموحدين في أعقاب معركة العقاب(٦٠٩هـ/١٢١٢م)[٣٣] برز المرينيون كقوة كبيرة، لم يتمكن الموحدون من مجابهتهم، فخضعت بلاد المغرب لسيطرتهم[٣٤].

وأما اليهود فكانوا يشكلون لبنة مهمة في البناء الاجتماعي لبلاد المغرب منذ أن وطأت أقدامهم أرض المغرب[٣٥]. ويكتنف التاريخ القديم لليهود بالمغرب الأصل الأسطوري، حيث لا توجد معلومات مؤكدة حول تلك الفترة من التاريخ المبكر لليهود في المنطقة[٣٦]، فيُرجع البعض جذور اليهود في المغرب لنحو ألف عام أو أكثر، كما ظهرت قصة يهود البربر الذين انتشرت بينهم اليهودية عن طريق التبشير عندما كان التبشير باليهودية شائعًا[٣٧]. كما شاع كذلك اعتناق بعض من زناته اليهودية في الفترة السابقة على وصول الإسلام[٣٨]. ومثل هذه الأفكار إنما ظهرت وتم تداولها لإعطاء اليهود جذورًا عميقة في المغرب تجعلهم الأكثر أصالة حتى من المسلمين أنفسهم[٣٩].

وقد ظل اليهود يعيشون في المجتمع المغربي حتى العصر الإسلامي، غير أن أعدادهم كانت قليلة وفي تناقص مستمر لظروف خاصة بهم[٤٠]، وأطلقوا على أنفسهم اسم توشابيم(Tochabim)، أو توشافيم(Toshavim) وتعنى السكان الأصليين أو البلديين بالعبرية[٤١].

غير أن أعداد اليهود أخذت تتزايد ببلاد المغرب حتى غدت لهم جالية كبيرة في المغرب في عدد من المدن المغربية. وتمثل الضريبة التي كانوا يؤدونها مؤشرًا قويًا نحو تزايد أعدادهم ببلاد المغرب الأقصى إذ بلغت نحو ثلاثين ألف دينار في العام[٤٢]. ومع تزايد اليهود في بلاد المغرب على هذا النحو بدأت السلطات المغربية في تنظيم أوضاع اليهود في المغرب، فكانت علاقاتها بهم تدار من خلال موظف يسمى ناجيد(Nagid)، وأن هذا الموظف كان يُعيّن من قبل السلطة. وبحسب الموسوعة اليهودية وُجد هذا المنصب أولاً في فاس، كما وجد موظف آخر يحمل نفس اللقب في مدينة مكناس، وثالث في صفرو، ورابع في سلا، وأخيرًا وجد لهم ممثل في مدينة مراكش بعد ذلك[٤٣]. كما تشير الموسوعة ذاتها إلى أن هذا المنصب صار وراثيًا في عائلات بعينها، مما يدل على مدي التقارب الذي حدث بين تلك العائلات اليهودية والسلطة المتعاقبة التي توالت على الحكم في بلاد المغرب[٤٤].

وعلى هذا النحو من التنظيم سارت حياة اليهود في موطنهم الجديد، وأخذ مؤشر أعداد اليهود يتصاعد في بلاد المغرب الأقصى في أعقاب طردهم من الأندلس حيث تعرضوا لكثير من المضايقات والاضطهادات منذ نهاية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، إذ أصبح يهود أوروبا موضع نقاش في أغلب المجالس المسكونية، بل كانت المجالس المحلية للكنائس الأوروبية هي الأكثر

اهتمامًا بأمر اليهود، ومحاربة التهويد بين النصارى[٤٥]، وفي نهاية المطاف وقعت لهم عدة مذابح، وأُجبروا في آخر الأمر على التنصير[٤٦].

وفضلًا عن ذلك اتهمت الأقلية اليهودية – وبخاصة تلك التي كانت تعيش في شبه جزيرة أيبيريا – بأن لهم علاقات خارجية مع أقرانهم خارج البلاد بعيدًا عن أعين الدولة، وبأنهم صاروا يشكلون عقبة في سبيل وحدة البلاد[٤٧].

ولأهمية هذا الأمر فقد جاء في أحد التقارير التي أرسلت من روما حول مجمع اللاتيران الرابع ٦١٢هـ/١٢١٥م[٤٨] – وصف للجلسات الثلاث التي عقدت والقضايا التي نوقشت، كما ورد في التقرير عبارات عن اليهود، ورؤوس الأموال اليهودية والربا اليهودي[٤٩]، وهو أكثر الأنشطة الاقتصادية ارتباطًا باليهود في الأندلس. واعتراض نصاري الأندلس على ذلك مرتبط بفكرة الاحتكار اليهودي للمعاملات النقدية في أوروبا في ذلك العصر، وما أشاعه الرهبان النصارى من خوفهم من الربا والفوائد، وغيرها من صور الاقتصاد الجديد[٥٠].

وهذه العبارات على قلتها تعكس لنا كيف شغل أمر اليهود أوروبا بأسرها في ذلك الوقت. وتحت هذا الضغط كان أول نفي وطرد لليهود من أوروبا، وذلك خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، حيث انتقل نحو ثمانية آلاف يهودي من قرطبة للعيش في المغرب[٥١]. كما هاجرت أعداد أخرى من اليهود إلى جهات مختلفة من العالم[٥٢].

وقد ازداد الأمر سوءًا بالنسبة لليهود في أعقاب سقوط قرطبة سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م؛ إذ سعى حكامها الإسبان إلى دمج أفراد الجاليات اليهودية التي سيطر أفرادها على مجالات التجارة والمالية، والعلم والفكر في المجتمع القرطبي الجديد. وسلك الحكام الجدد في ذلك نهجين، أولهما كان على الصعيد الاقتصادي، وكان أمره هين. أما المسلك الآخر فقد كان على صعيد العقيدة، غير أن دمج

اليهود دينيًا بتنصيرهم كان هو المعضلة الحقيقية التي واجهتهم ودفعتهم للهجرة[٥٣]. ومنذ ذلك التاريخ بدأت أعداد اليهود في شبه جزيرة أيبيريا في التقلص، وغدت الغالبية العظمى من اليهود الذين طردوا منها يعيشون في شمال أفريقيا وأملاك الدولة العثمانية [٥٤]؛ إذ سمح لهم بالمغادرة كما سمح للمسلمين من قبلهم[٥٥].

وشكل المغرب الأقصى خاصة وبلاد المغرب عامة إحدى أهم البقاع التي فضلها اليهود، ولجأوا إليها منذ أن صدرت قرارات طردهم سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م فوصلت قوافل المهاجرين إلى أجزاء مختلفة من الساحل، فاستقروا في طرابلس والمهدية والقيروان وتلمسان وتاهرت وسجلماسة وفاس ومراكش والرباط وسلا، وغيرها من المراكز الحضرية بالمغرب الإسلامي، وكان اليهود الذين وصلوا إلى المغرب الأقصى هم الأكثر حظًا[٥٦]؛ نظرًا لما وجدوه من تسامح، سواء من جانب المجتمع أو من جانب السلطة، فلا تعدو المضايقات التي تعرضوا لها كونها حالات استثنائية[٥٧].

وترتب على هجرة اليهود إلى المغرب الأقصى أن أصبح بالمغرب فئتان متمايزتان من اليهود، هما: يهود المغرب التوشافيم، ويهود الأندلس الذين عرفوا باسم المكورشيم(Megorachim)، وتعنى المطرودين، وهم المهجرون من الأندلس [٥٨]، كما عرفوا كذلك بالكَبُّوس[٥٩] نسبة إلى الشارة الحمراء التي أجبروا في الأندلس على وضعها فوق رؤوسهم[٦٠]. وكان ليهود الكَبُّوس اعتزاز كبير بأنفسهم وبقدراتهم المالية الكبيرة، حتى أنهم حاولوا الامتناع عن دفع الجزية استقباحًا واستنكارًا لمساواتهم بغيرهم ممن يؤدونها، غير أن الدولة المرينية كانت تنظر إلى جميع اليهود بعين المساواة، فلم تفرق في ذلك الأمر بين الكَبُّوسي وغيره[٦١].

وكانت نظرة الكَبُّوسيين لأنفسهم سببًا في نزاع كبير بين اليهود المحليين والمهاجرين، وذلك في مختلف المراكز الحضرية في غرب المغرب، واستمر النزاع بينهما لنحو عشر سنوات، وظهر ذلك بشكل كبير في مراكش[٦٢]؛ وكان السبب وراء نزاعهما هو اختلاف المستوى الحضاري بينهما، وشعور اليهود المحليين بتهديد من قبل اليهود الوافدين الذين شكلوا نخبة اجتماعية مرموقة تجمع بين النفوذ السياسي والقوة الاقتصادية[٦٣]. كما كان هناك نزاع من نوع آخر بين الطرفين، وهو النزاع الذي استمر لأمد طويل بين الطرفين؛ حيث يتعلق ببعض الاختلافات العقائدية فيما يعرف بالذبح الطقسي[٦٤].

وبعيدًا عن ذلك النزاع فقد أحسن المغاربة استقبال اليهود المطرودين، فعاش اليهود جميعهم في كنف المجتمع المغربي في أحسن حال، وبصورة سلمية، وكثرت أعدادهم بمرور الوقت حتى أضحوا يمثلون الأكثرية الساحقة في بعض المدن كدبدو[٦٥] وصفرو[٦٦] والصويرة وميسور، أما المدن الأخرى التي عاشوا فيها مع المسلمين، فكانت لهم أحياء خاصة بهم[٦٧] ، تعرف بالمِلّاح (Mellah)[٦٨]. ورغم ذلك اندمجت عائلات يهودية كثيرة في المجتمع المغربي[٦٩]، وكانت أكبر الجاليات اليهودية ببلاد المغرب في مدينة فاس[٧٠].

واستقر اليهود في مدن مغربية أخرى، كان أهمها وأشهرها مدينة أغمات إيلان[٧١]، وهى مدينة على مقربة من أغمات وريكة أسفل جبل دَرَن، كان الأمير على بن يوسف المرابطي(٥٠١-٥٣٨هـ/١١٠٧-١١٤٣م) قد ألزمهم الإقامة فيها، فصارت مستقرًا آمنًا لهم منذ ذلك الوقت[٧٢].

وقد شكل اليهود كذلك جالية كبيرة في مدينة فاس، كما استقبلت فاس الجديدة منذ تأسيسها ١٩٣هـ/٨٠٨م مجموعة متنوعة من السكان من جهات مختلفة من المشرق الإسلامي، ومن بلاد الأندلس، وكان اليهود من بين القادمين إلى فاس،

ولقوا فيها ترحيبًا كبيرًا بفضل قدراتهم الاقتصادية وعلاقاتهم التجارية الواسعة فيما عرف بالوكالات التجارية المنتشرة في أكثر من مدينة سواء في بلاد المغرب الإسلامي أم في بلاد الأندلس أم في غيرهما من البلدان(٧٣). ونظرًا للترحاب الكبير الذي قوبل به اليهود خاصة في المغرب الأقصى ضمت فاس أحد أكبر الملاح التي سكنها اليهود بالمغرب؛ إذ تتوافر به كافة الخدمات الاجتماعية، فضلًا عن دور العبادة الخاصة بهم، والأسواق(٧٤).

وسكن يهود فاس المدينة القديمة، وكانت بيوتهم وأمتعتهم في بعض الأوقات عرضة للنهب، وهم عرضة للقتل(٧٥)؛ بسبب فسادهم، مثلما حدث سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م حيث تعرض اليهود في فاس لانتقامات كبيرة من قبل المسلمين بسبب تعدي أحد اليهود على امرأة مسلمة، ولولا تدخل الأمير يعقوب بن عبد الحق(٦٥٨-٦٨٥هـ/١٢٥٩-١٢٨٦م) ومناداته بعدم التعرض لليهود لأفناهم السكان من المدينة(٧٦).

وظل وضع اليهود على هذا النحو يتعرضون للعقاب كلما وقعت منهم تعديات أو ما يوجب نقض ذمتهم(٧٧) إلى أن نقلهم أبو سعيد عثمان بن يعقوب(٧١٠-٧٣٢هـ/١٣١١-١٣٣١) إلى مدينة فاس الجديدة(٧٨)، وجعل مساكنهم محل مساكن حراس القصر الرماة، وضاعف الجزية المفروضة عليهم(٧٩). وقد استخدمت تلك الأموال في إعمار المدينة، كما أُجرى منها مرتبات لطلبة العلم والمقرئين في المدينة(٨٠).

وتعتبر منطقة تافيلالت(٨١) من أكثر المناطق المغربية التي استوطنها اليهود، وزعم سلوش أن اليهود سكنوا تلك المنطقة منذ القدم، بل كانوا في رأيه أول من استقر فيها(٨٢)، غير أن كربخال يذكر أن من أسس تلك المدينة هم أفارقة من صنهاجة(٨٣).

وتعد أُزْمُورَةُ[٨٤] من أهم المناطق التي قطنها اليهود المطرودون من أوروبا، إذ تشير الموسوعة اليهودية إلى أن نحو ألفين وخمسمائة من اليهود قد سكنوا تلك المنطقة، وتذكر أيضًا أن أغلبهم كانوا من الصيادين والحرفيين، كما كان بينهم بعض الأثرياء الذين عملوا بالتجارة[٨٥]. وما يقال عن أزمور ينطبق كذلك على دَرعَة(Draa)[٨٦]، إذ تؤكد الموسوعة اليهودية وفقًا للمصادر الجغرافية على أن درعة كانت مقرًا لجماعة من اليهود، وأن معظم أولئك اليهود كانوا ممن يحترفون العمل بالتجارة[٨٧].

وبشكل عام استقر اليهود في المناطق القريبة من طرق التجارة، أو بالقرب من مناطق الإنتاج خاصة مناجم الذهب والفضة، فكانت سِجِلماسَة[٨٨] من أهم المناطق التي سكنها اليهود من بلاد المغرب لقربها من غانة[٨٩] التي يدخل منها التجار إلى مناجم الذهب[٩٠]، فهي على حد وصف صاحب الاستبصار باب لمعدنه[٩١]؛ وعليه فقد احتكر اليهود أعمال الصاغة وسبك الحلى وصناعة المجوهرات، وفي أحيان كثيرة قاموا على مهمة سك العملة[٩٢].

وقد أدت كثرة اليهود ببلاد المغرب على هذا النحو، أن جعلت عيون الحكام عليهم، تراقب أفعالهم، وتراجع أوضاعهم، وتضيق عليهم، وذلك منذ عهد المرابطين. فقد خصهم عدد من أمراء المغرب ببعض الإجراءات، مثل الأمير على بن يوسف المرابطى(٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) الذي منع اليهود من سكنى مراكش، وقصر تواجدهم فيها لأمور وخدمات مخصوصة أثناء النهار فحسب، ومن وجد منهم ليلًا بمراكش استبيح ماله ودمه. وقد خصص لإقامتهم مدينة أغمات إيلان على مقربة من مراكش[٩٣].

لم يختلف وضع اليهود كثيرًا في عهد الموحدين، فكان التعامل معهم بحذر شديد، ووصل الأمر ذروته في أواخر عهد أبي يوسف يعقوب المنصور(٥٨٠-

٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٩م) الذى أمر أن يميز اليهود ببلاد المغرب بلباس مخصوص، لونه كحلى، وبأكمام واسعة مفرطة في الطول، وبدل العمائم يرتدون كلوتات[٩٤] واسعة تبلغ أسفل آذانهم. فشاع هذا اللباس في جميع يهود المغرب إلى أن تغير لباسهم إلى اللباس الأصفر والعمائم الصفراء بعد ذلك. ولعل ما حمل أبو يوسف إلى تمييزهم على ذلك النحو هو شكوكه فيهم، وفي مدى إخلاصهم لدولته[٩٥].

أما في العصر المريني فقد تغير وضع اليهود بشكل جذري، إذ كان موقف سلاطين بني مرين الأوائل إيجابيًا تجاه اليهود لدرجة أن بعض اليهود الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام عادوا إلى ديانتهم القديمة، وذلك دون أن تطبق عليهم أحكام الردة[٩٦]. وفي هذا العصر ازدادت أعدادهم ببلاد المغرب بشكل ملحوظ، وكان السبب وراء ذلك هو تزايد تيار هجرة يهود الأندلس نحو بلاد المغرب[٩٧]، كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ورغم عدم وجود إحصاء دقيق لأعداد اليهود بالمغرب إلا أنهم ينتمون بوضوح إلى ثلاث مجموعات متميزة: التجار والعملاء لدى المرينيين، واليهود الأجانب من الإسبان والشرقيين، أما المجموعة الثالثة فكانت من المرتدين، وهم جماعات يهودية الأصل كانوا قد اعتنقوا الإسلام تحت حكم الموحدين ثم ارتدوا إلى اليهودية[٩٨]؛ شجعهم على ذلك روح التسامح لدى الحكام الجدد[٩٩].

ولكنّ هذا لا يعنى أن كل اليهود الذين أجبروا على التحول إلى الإسلام ارتدوا مرة أخرى إلى اليهودية؛ إذ حسن إسلام بعض أولئك اليهود لدرجة أن أحفاد بعضهم صاروا من الكتاب المسلمين المميزين. وأما الذين ارتدوا مرة أخرى إلى اليهودية، فقد عاشوا في ظل ظروف اجتماعية جديدة مخالفة تمامًا للحالة الاجتماعية القديمة[١٠٠]. وهذا ما أكدته رسالة لأحد يهود توات كتبها عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م عبّر

فيها عن كثرة عدد اليهود الذين يعيشون في المنطقة، وأنهم يعيشون في سرور لأنهم تحت حماية سادة مختلفين عمن سبقوهم؛ ولذا فحياتهم المجتمعية مرضية للغاية(١٠١).

ويؤكد صدق هذه الرسالة وما جاء فيها أن تيار هجرة اليهود أخذ في التزايد نحو بلاد المغرب حتى بعد سقوط دولة بنى مرين، وتحديدًا مع صدور مرسوم ٨٩٨هـ/١٤٩٢ بطرد اليهود والمسلمين الذين لم يقبلوا اعتناق المسيحية من شبه الجزيرة الأيبيرية(١٠٢).

وتعبر الشهادة السابقة أصدق تعبير عن الحياة الكريمة التي عاشها اليهود في بلاد المغرب، غير أن كتب النوازل الفقهية للعصر المريني، تكشف لنا أيضًا عن وجود طائفة كبيرة من أهل الذمة – خاصة اليهود- يعيشون في المغرب، بل وتمدنا تلك النوازل بالكثير من المعلومات حول أوضاعهم في أوساط المجتمع المغربي(١٠٣).

المبحث الثالث

حياة اليهود السياسية والاقتصادية في العصر المريني

(٦٥٦-٨٦٩هـ/١٢٥٨-١٤٦٥م)

كان لليهود دور بارز في الحياة السياسية والاقتصادية في بلاد المغرب تحت حكم بنى مرين، ويمكن لنا أن ندرك ذلك الدور إذا ألقينا نظرة سريعة على أهم المناصب التي شغلها اليهود في البلاط المريني، فكان كبار موظفي سلاطين بنى مرين في كثير من الأحيان من اليهود[١٠٤]، فشغل بعضهم منصب الحجابة على أهمية ذلك المنصب، بل ترقى آخرون إلى منصب الوزارة كخليفة بن حيون الذي جمع بين الحجابة والوزارة في عهد السلطان يوسف بن يعقوب(٦٥٨-٦٨٥هـ/١٢٥٩-١٢٨٦م)[١٠٥]. ويدل هذا على مدى التسامح الذي عاشه اليهود في كنف المرينيين[١٠٦]. ذلك التسامح الذي بلغ حد مخالفة ما جاء في كتب السياسة الشرعية التي وضعها العلماء المسلمون لتمهيد الطريق أمام الخلفاء والملوك والسلاطين في اختيارهم لرجال دولتهم، وما ينبغي أن يتوافر فيهم من صفات[١٠٧].

ولما كان اليهود من أبرع من عملوا بالطب في العصر الوسيط، تولى بعضهم مهمة الطب بدار الملك، غير أن دور أولئك الأطباء لم يقف عند حد ممارسة الطب فحسب، وإنما تدخلوا في سياسة السلاطين، وسعوا عندهم بالوشايات، ومن أولئك الطبيب يحيى بن الصائغ الذى سعى بالوشاية في وزير السلطان أبي العباس أحمد بن أبى سالم(٧٨٨-٧٩٦هـ/١٣٨٧-١٣٩٣م) إلى أن فتك بوزيره ومدبر حكمه، غير أن ذلك الطبيب لم ينج بفعلته فقد حبسه السلطان وقتله أيضًا[١٠٨].

نكبة بنى وقاصة ودلالتها السياسية(٧٠١هـ/١٣٠٢م)[١٠٩]

تمثل تلك النكبة التي تعرض لها بنو وقاصة دليلًا واضحًا على دور اليهود البالغ الأهمية في الحياة السياسية في المغرب، ذلك الدور الذي وصل إلى ذروته حتى مطلع القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

فقد حظي اليهود في المغرب بنفوذ كبير خلال العصر المريني حتى إنهم تدخلوا في كافة أمور الدولة، واستمرت تلك الحظوة حتى سنة ٧٠١هـ/١٣٠٢م عندما نكبهم السلطان أبو يعقوب يوسف الناصر المريني(٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م)، وذلك بإيعاز من حاجبه عبد الله بن أبى مدين[١١٠] الذي كشف له دسائسهم ومؤامراتهم، فقتل أكابرهم: خليفة بن حيوان بن وقاصة، وأخاه إبراهيم، وصهره موسى السبتى، وطال القتل حاشيتهم وأقاربهم، ولم يفلت من تلك النكبة سوى خليفة الصغير[١١١].

ولكن رغم تلك النكبة التي تعرضوا لها إلا أن نفوذ اليهود لم ينته عند هذا الحد؛ إذ عاود خليفة الصغير بن وقاصة (الذى نجا من النكبة الأولى) العمل في البلاط المريني فدخل فى خدمة السلطان أبي الربيع سليمان(٧٠٨-٧١٠هـ/١٣٠٨-١٣١٠م)، بل وحظي من السلطان بمكانة كبيرة، فوشى عنده بابن أبي مدين حتى أوغر صدر السلطان ضده، فأوعز الأخير بقتل ابن أبي مدين، فقتل. ولما رأى وزير الربيع ما حدث لابن أبي مدين أخذ في إيقاظ السلطان، وبيّن له مكر اليهودي، وأخرج له رسالة كان قد أرسلها ابن مدين إلى السلطان يحلف فيها على كذب ما رمي به، فما كان من السلطان إلا أن فتك بخليفة بن وقاصة وحاشيته من اليهود حتى أهلكهم[١١٢]. وقد أثر ذلك أيما تأثير على وضع اليهود في المغرب خلال العهد المريني. وبهذه النكبة التي تعرض لها اليهود على الصعيد السياسي تراجع دورهم السياسي في بلاد المغرب بشكل كبير وملحوظ.

غير أن هذا التراجع لم يستمر طويلًا، فقد عاد اليهود للظهور من جديد وبلغت سطوتهم ذروتها أواخر عهد الدولة المرينية، على عهد السلطان أبى محمد عبد الحق بن أبي سعيد(٨٢٣-٨٦٩هـ/١٤٢٠-١٤٦٥م) الذي ولى يهوديين هما هارون وشاويل منصب الوزارة[١١٣] والحجابة[١١٤]، فاستبدا بالناس وأخذوهم بالشدة والضرب والمصادرة، واستبدوا بالأشراف والفقهاء، فتولدت حالة من الغليان بين عامة الناس[١١٥].

ولم تكن استعانة السلطان المريني باليهود نهاية للدور السياسي لليهود في المغرب الأقصى بل نهاية للدولة المرينية نفسها، حيث أقدم السلطان تحت ضغط أولئك اليهود على إصدار مرسوم قرر بموجبه أن يؤدى الخراج كل السكان المقيمين في فاس بما فيهم الأشراف، وهم الذين كانوا معفيين قبل ذلك من أداء الضرائب، فترتب على ذلك سخط شديد بينهم[١١٦]، وهو الأمر الذى هيج مشاعر عامة المغاربة في بلاد المغرب الأقصى ضد حكامهم من بنى مرين، لشدة ارتباطهم بالأشراف ومراعاتهم للنسب الشريف.

وعلى صعيد آخر بلغ من تجبر اليهود وتسلطهم على المسلمين في أيام أبى محمد عبد الحق أن أقدم أحد اليهود على ضرب امرأة من الأشراف، وبالغ في ضربها لأداء الضريبة، فاجتمع الناس عند خطيب القرويين الذي حرضهم على الفتك باليهود، وخلع السلطان عبد الحق المريني ومبايعة نقيب الأشراف بالسلطنة[١١٧]، وانتهى الأمر بمقتل السلطان عبد الحق ووزيره اليهودي هارون. وبمقتل السلطان عبد الحق تنتهى الدولة المرينية لتقوم على أنقاضها الدولة الوطاسية ٨٦٧-٩١٠هـ/١٤٧٢-١٥٠٤م[١١٨].

وفضلًا عما سبق كان منصب السفراء أحد أهم الأدوار التي أداها اليهود في بلاد المغرب على عهد بنى مرين خاصة كسفراء لدى الدول الأوروبية، وبخاصة في

شبه الجزيرة الأيبيرية مستفيدين في ذلك من ترحيب ملك آرجون بهم ومنحه لهم امتياز المتاجرة مع مملكته دون غيرهم(١١٩). ومن ثمَّ كانت فترة حكم المرينيين فترة ذهبية بالنسبة لليهود، وذلك من جهتين، الأولى قلة ما تعرض له اليهود من اضطهاد، إذ كانت حوادث الاضطهاد لا تعدو حوادث فردية نادرة الحدوث، والثانية أن اليهود سيطروا على مقاليد الحكم من وراء ستار في ظل حكم بعض سلاطين بنى مرين(١٢٠).

أما على الصعيد الاقتصادي فقد كان لليهود دور حيوي وفعال في الحياة الاقتصادية للمغرب خلال العصور الوسطى، ولعل مرد ذلك يرجع إلى خبرتهم الكبيرة في مجال الاقتصاد واحترافهم للتجارة(١٢١)، وحسبنا في ذلك ما ذكر عنهم من أنهم تجار أهل هذه البلاد وأغنياؤها وخاصة في مدينة فاس(١٢٢). ومن ثمَّ تمتع اليهود في بلاد المغرب بحرية اقتصادية واسعة مكنتهم من بسط سيطرتهم على سائر مرافق الدولة وأهم مصادرها الاقتصادية كالتجارة والأموال(١٢٣).

كان اليهود على رأس بيت مال المسلمين، وهو منصب من أرفع المناصب في الدولة الإسلامية عامة. فصاحب هذا المنصب هو القائم على قبض الأموال وصرفها، وتوزيعها على مصالح الدولة المختلفة. وكان لتولى اليهود لهذا المنصب صداه في النوازل، حيث وردت على العلماء نوازل حول مدي جواز تولية اليهود هذا المنصب في بلاد المسلمين، وهل يثاب ولي الأمر ومن يساعده في استبدال اليهودي بثقة من المسلمين؟ وجاء جواب العلماء بعدم جواز تولي اليهود ابتداء لهذا المنصب لعداوتهم الظاهرة للمسلمين، ومن ثمَّ فلن يقصّروا في إيقاع الأذى والضرر والفساد بالمسلمين(١٢٤).

كما تظهر النوازل الفقهية تعدد المجالات الاقتصادية التي عمل فيها أهل الذمة، ولا سيما اليهود، ففي إحدى النوازل يسأل السائل عن الثوب الملبوس اشتراه

من السوق: هل يغسل أو ينضح بالماء قبل الصلاة فيه؟ موضحًا أن بالسوق يهود ونصارى خالطوا المسلمين في لباسهم(١٢٥).

ونستدل من خلال هذه النازلة على أمرين. أولهما كثرة أهل الذمة وعلى رأسهم اليهود في أسواق المسلمين، وثانيهما تسامح حكام المسلمين مع اليهود، فلم يفرضوا عليهم لبس الغيار الذي يميزهم عن المسلمين، فاختلطوا بالمسلمين حتى أن المشترى لم يعد يستطيع التمييز ممن اشترى :أهو مسلم أم من غير المسلمين؟.

وبخلاف هذين الأمرين نستدل من إجابة تلك النازلة أن اليهود كانوا تجارًا للمنسوجات، وأهلًا لصناعتها، فقد جاء في إجابة النازلة أن يغسل كل ما لبسوه قبل الصلاة فيه؛ لأن الغالب عليهم عدم التحفظ من النجاسات، وأما ما نسجوه فإن لم يكن عنه استغناء فجائز الصلاة فيه، والدليل هو جواز أكل طعامهم، فمن باب القياس لا فارق بين طعامهم وما نسجوه(١٢٦).

ولما كان اليهود يعيشون بين المسلمين، لا يميزهم عنهم شيء، ومرد ذلك هو تهاون ولاة الأمر في أمر التمييز بين المسلمين وأهل الذمة في لباسهم، فقد مارس اليهود بعض الأعمال المحرمة عند المسلمين كصناعة المسكرات مستترين في زيّ المسلمين وهيئتهم. وقد ورد في النوازل ما يدل على ارتكابهم مثل ذلك، وأقر العلماء أن من فعله يعاقب بالضرب والحبس، ويُشّهر به في مواضع سكنى اليهود والنصارى ردعًا لأمثاله وتحذيرًا لهم من ارتكاب تلك الأعمال المحرمة في شريعة المسلمين(١٢٧). ولذا نجد العلماء يفتون في نوازلهم بأن من يسكن من اليهود بين المسلمين ويؤذيهم يزجر ويمنع من إيذائهم فإن لم ينته يُخرج من بين أظهرهم(١٢٨).

ورغم الغنى الواسع الذي حظي به اليهود في بلاد المغرب إلا أن إجراءات سلاطين بنى مرين المالية كانت في صالحهم؛ إذ أسقطوا عن كاهلهم كل ضريبة

كانوا يؤدونها بخلاف الجزية والأعشار المشروعة. ولما شرع السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب(٧١٠-٧٣٢هـ/١٣١٠-١٣٣١) في فرض ضرائب جديدة شملت تلك الضرائب المسلمين قبل أهل الذمة[١٢٩].

وقد برزت تلك القضية في كتب النوازل، إذ أثار نشاط اليهود التجاري في بلاد المغرب قضية أخذ العُشر منهم نظير ذلك النشاط الكبير، وعُرض الأمر على أهل الفتوى، فكان الجواب أن أخذ العُشر من اليهود مرتبط بمدى تلك التجارة، فلا يجوز أخذ العُشر منهم طالما هم في قطر واحد، فأُسقط العُشر عن يهود فاس عند ورودهم سبته؛ لكونهم يدفعون الجزية في ذلك القطر، وهذا يكفيهم. وربط البعض إسقاط العُشر عنهم ما داموا في أفق واحد تحت سلطان واحد، فبلاد بنى عبد الواد أفق، وبلاد بنى مرين أفق، والأندلس أفق، وإنما يؤخذ منهم العُشر إذا انتقلوا من بلد لآخر[١٣٠].

وعلى هذا النحو ازداد نفوذ اليهود الاقتصادي في عهد بنى مرين على نحو لم يسبق له مثيل، فحصّلوا الكثير من الامتيازات، وسُمح لهم بفتح المتاجر ودور الصناعة[١٣١]. كما وظف المرينيون العناصر اليهودية في العديد من القطاعات الاقتصادية التي أرادوا تنشيطها، وعلى رأس تلك القطاعات التعدين، والسكة، والتجارة. فلعب اليهود دورًا كبيرًا في تنشيط تلك القطاعات[١٣٢].

كما كان شغل المعادن خاصة الذهب من المجالات المهمة التي عمل فيها اليهود دون غيرهم، إذ لم يسمح للمسلمين أن يمارسوا مهنة الصاغة لما يعتري تلك المهنة من مخالفات شرعية، فأصبح المجال مفتوحًا أمام اليهود لاحتكار تلك المهنة، فكانوا ينجزون أعمالهم في فاس القديمة ثم ينقلونها للعرض في أسواق فاس الجديدة[١٣٣]. كما عملوا في مجالات أخرى فكان منهم الإسكافيون والصباغون والحدادون ومن يعملون في مجال البناء[١٣٤].

وكان لليهود كذلك نشاط تجارى واسع خاصة في تجارة العبيد في مناطق السوس والصحراء وحتى بلاد السودان، وكان لتجارة الرقيق صدي في كتب الفقه، حيث برزت قضية بيع المسلم للتاجر من أهل الذمة، وهل يجوز ذلك أم لا؟ وهل يعاقب من يفعل ذلك إذا كان على علم؟. وكان رأي سحنون وأغلب المالكية على ما نقله ابن الحطاب (ت٩٥٤هـ/١٥٤٧م) يميلون إلى نقض هذا البيع؛ فالبيع رغم جوازه إلا أن الذمي يجبر فيه على إخراج ذلك من ملكه ببيعه لمسلم أو بعتق أو هبة. ولو كان العبد كافرًا ثم أسلم يجبر على بيعه، ولا يجوز أن يبيعه بنفسه؛ لأن في هذا إهانة للمسلم، بل يتولى الإمام بيعه. أما فيما يخص العقاب، فيعاقب المتبايعان بفسخ البيع إلا أن يُعذرا بجهل(١٣٥).

وقد أدى النشاط التجاري ليهود المغرب وعلاقاتهم التجارية بيهود الأندلس إلى تنشيط التجارة الخارجية لبلاد المغرب، وبخاصة مع شبه جزيرة أيبيريا(١٣٦). فقد أسس اليهود وكالات تجارية لها فروع في بلاد المغرب الأقصى، وأخرى في المراكز التجارية بالأندلس(١٣٧). كما سيطروا على تجارة القوافل المؤدية إلى بلاد السودان الغربي، ومركزها الرئيس في سجلماسة(١٣٨). فارتبطت تلك المدينة أيضًا بعلاقات تجارية متميزة مع المدن الأندلسية(١٣٩).

وعلى الرغم من انخفاض النشاط التجاري لليهود في غرب البحر المتوسط بصفة عامة نتيجة المضايقات التي تعرضوا لها من قبل القوي النصرانية في شبه جزيرة أيبيريا، والتي بلغت ذروتها في سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م إلا أن يهود المغرب مع يهود صقلية ظلوا يواصلون التجارة البحرية في تلك المنطقة عوضًا عن غيرهم من يهود غرب البحر المتوسط(١٤٠).

وكان نشاط اليهود التجاري في بلاد المغرب قد بلغ مداه في بداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وذلك في أعقاب انتقال أعداد كبيرة منهم

من الأندلس التي طردوا منها ليستقروا ببلاد المغرب، خاصة في المناطق الجنوبية وبلاد الصحراء، وقد منحهم هذا التصرف حرية كبيرة، فكانت لهم الغلبة الاقتصادية التي أوصلتهم لأهل السلطة، فصارت لهم منعه وشوكة، وسمح لهم بتشييد معابدهم وممارسة شعائرهم الدينية بحرية تامة، وصار ما يدفعون من الجزية إنما هي رشوة في نظير توليتهم بعض الخدمات[١٤١].

ونستدل على اتساع النشاط الاقتصادي لأهل الكتاب خاصة اليهود من مسائل وردت حول معاملة أهل الكتاب، وما يباح بيعه لهم، وما لا يجب أن يباع، وحكم أخذ دراهمهم وإعطائهم دراهم المسلمين. وكانت الإجابة عن تلك المسائل هي مشروعية البيع لهم والشراء منهم، ولكن لا يباع لهم شيء يستخدمونه ضد المسلمين كالخيل وعدته والسلاح، أما دراهمهم فحلال أخذها، وأخذهم دراهم المسلمين التي عليها اسم الله فلا يجوز[١٤٢]. واشترط العلماء في التعامل مع اليهود في البيع والشراء ألا يكون في ذلك التعامل ما لا يجوز شرعًا كالربا[١٤٣]، أو مما يفسد به البيع[١٤٤]. وشغل هذا الأمر العلماء حتى أنهم اختلفوا فيما بينهم فيما يجب على من قام بهذا الفعل من التوبة إلى الله، لما في ذلك من إعانة للعدو على المسلمين وتكثير لعتاده[١٤٥].

ولم يقتصر نشاط اليهود التجاري على المدن والأسواق الكبيرة فحسب، وإنما شمل الأرياف والقرى أيضا، وكثير منهم كانوا من الباعة المتجولين على الدور. فقد ورد في كتب النوازل العديد من الأسئلة حول اليهود الذين يتاجرون في القرى ويطالبون المسلمين بديون بتواريخ قديمة قد تصل إلى عشرين عامًا وأكثر أو أقل بقليل، والغرماء يدعون أنهم خلصوا من تلك الديون، واليهود ينكرون الخلاص. ورغم ما هو معلوم من استحلال اليهود أكل أموال المسلمين إلا أن رأي العلماء أن يحلف المسلم على الأداء، فإذا حلف سقط عنه ذلك الادعاء. أما عملهم كباعة

متجولين على الدور، فقد حذر العلماء منه[١٤٦]، وتحذير العلماء لم يكن ضد ممارسة اليهود لذلك العمل فحسب، وإنما حذروا كذلك المسلمين الذين يمارسون نفس العمل، ووضعوا لهذا العمل ضوابط وأوقات محددة تجنبًا لوقوع الفساد[١٤٧].

كما وردت أسئلة حول الجزية التي تفرض على اليهود، ومنهم من يسكنون البادية، ومنهم من يسكنون الحضر، فهل يتساوى سكان البادية من اليهود فيما يؤدونه من الجزية مع من يسكنون الحضر. وكانت إجابة الفقهاء في ذلك قاطعة مانعة، فحددوا ابتداءً شروط من تُفرض عليه الجزية من اليهود، وهى أن يكون حرًا ذكرًا مكلفًا مخالطًا للمسلمين تحت حكم الإسلام وحمايته، ولا علاقة لموضع السكن بمقدار الجزية التي تفرض على اليهود من سكان البادية والحضر، كما حددوا مقدار تلك الجزية شرعًا، وهى أربعة دنانير أو أربعون درهمًا[١٤٨].

وقد مُنع اليهود مع جميع أهل الذمة من ممارسة بعض الأنشطة كبيع اللحوم بالأسواق خاصة في الموضع الذي يشترى منه أهل الإسلام؛ لاختلاف قول مالك فيما يحرمونه على أنفسهم، فأجاز أكله مرة، وكره ذلك مرة، وقال: لا تؤكل احتياطًا على التذكية[١٤٩]؛ وكذلك لاختلاف القول في اللحوم المحرمة عليهم أو ما حرمه الله عليهم في دينهم، مثل ذي الظفر، وما ذبحوه لكنائسهم وأعيادهم[١٥٠]؛ ولأن اليهود كانوا يبيعون اللحوم، ولا يبينون حقيقتها، فربما كانت مما هو محرم على المسلمين أكله[١٥١]. ولكن اللحوم الصالحة المشروعة للمسلمين كره بعض الفقهاء شراءها من مجازر اليهود والنصارى على السواء، وأباح البعض الأخر شراء اللحوم من اليهود وأكلها، فهي مكروهة، وليست بحرام[١٥٢].

مارس اليهود كذلك أعمالاً أفتى العلماء بفسادها كالرهان. وكان قد انتشر في المجتمع الإسلامي في نهاية القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين معاملة الرهن، وقد مارس اليهود هذا العمل كغيرهم، وقد عرض على العلماء مسائل في

الرهن، فأشار العلماء بفساد تلك المعاملات، وشددوا على فسادها إن كانت مع اليهود؛ وحجتهم في ذلك أنه لا يقصدهم إلا الفسقة، وأصحاب الحاجات الملحة فيستغلونهم، ومن يئس من معاملات المسلمين؛ ولذا فمعاملتهم تحمل كلها على الفساد(١٥٣). ومارس بعضهم أعمالًا حرمتها الشريعة الإسلامية مثل عصر العنب وجعله خمرًا، فكان لهم في مدينة تازا(١٥٤) أزقة خاصة بهم يقومون فيها بذلك العمل(١٥٥). وقد جاء في فتاوى العلماء تحريم بيع العنب لمن يعصره خمرًا، وتحريم تأجير الدور لمن يتخذها مكانًا لعصر الخمر واجتماع الفُسَّاق(١٥٦).

ويشير دفورك(Dufourcq) إلى انتشار تلك التجارة على نطاق واسع في بلاد المغرب والأندلس في عهد بنى مرين، الأمر الذي دفع الأمير أبا يعقوب المريني في نهاية القرن السادس الهجري/الثانى عشر الميلادي إلى تغليظ العقوبة على اليهود الذين يتاجرون في الخمر، ويبيعونها للمسلمين إلى حد القتل، ومصادرة ممتلكاتهم، وسبى عائلاتهم(١٥٧)؛ وذلك للحد من انتشار تلك الظاهرة في بلاد المسلمين.

ومارس اليهود أعمالًا أخرى اشتهروا بها دون غيرهم كالسحر، ورغم كراهة السحر وأهله إلا أن الشريعة الغراء لم تفرض عقوبة على اليهودي لمجرد أنه يعمل بالسحر، وجعلت العقوبة مرتبطة بضرر يوقعه بالمسلمين، أو أن يقتل بسحره ذميًا(١٥٨).

ولم تشر النوازل إلى ما يؤكد عمل اليهود في مجال الفلاحة، وهذا يؤكد أن هذا العمل لم يستهو اليهود؛ لأنه عمل شاق، ومردوده المادي يتطلب وقتًا طويلًا(١٥٩)، وهذا يخالف طبيعة اليهود، فهم يسعون لجني الكثير من الأرباح في أقل وقت ممكن. ورغم ذلك مارس اليهود العمل الفلاحي، إذ يشير المؤرخ اليهودي هيرشبرغ(H. Hirschbreg) مستشهدًا ببعض الفتاوي اليهودية الواردة في وثائق

الجنيزا أن يهود المغرب كانوا يتكسبون عيشهم من العمل في ملكيات زراعية صغيرة وتربية الماشية، رغم أن العمل الفلاحي اجتماعيًا عمل غير مشرف بالنسبة لليهود(١٦٠).

على هذا النحو حقق اليهود في بلاد المغرب ثراءً واسعًا، فقد كانوا يملكون دار السكة في بعض جهات المغرب، ويضربون للناس النقود من الفضة، كما كانوا من أمهر الصائغين الذين يشتغلون في الذهب، ورغم ذلك نجد ولاة الأمر في بعض نواحي المغرب يغضون الطرف عنهم، ولا يأخذون الجزية منهم، وكان اليهود يقدمون هدايا للأعيان في تلك النواحي فيحمونهم، فلا يتعرض لهم أحد بسوء(١٦١).

وهكذا لعب اليهود دورًا مؤثرًا على الصعيدين السياسي والاقتصادي في بلاد المغرب الأقصى في عهد دولة بنى مرين، ورغم بعض المخالفات التي مارسها اليهود في بلاد المغرب على الصعيدين السياسي والاقتصادي إلا أن الدولة قد كفلت لهم الحماية والحرية. كما يمكننا القول: إن تلك الحماية التي كفلتها الدولة لليهود - خاصة في الجانب الاقتصادي- قد عادت على دولة بنى مرين بالفائدة من خلال الأسواق الكثيرة التي فتحت أمام اليهود الذين عاشوا في المغرب، ولاسيما في أوروبا.

والسؤال الآن هل تمتع اليهود في المغرب الأقصى في عهد بنى مرين بنفس القدر من الحماية والحرية على الصعيدين الاجتماعي والديني؟

المبحث الرابع

حياة اليهود الاجتماعية بالمغرب في العصر المريني

(٦٥٦-٨٦٩هـ/١٢٥٨-١٤٦٥م)

عاش اليهود في المغرب في ظل حماية التشريع الإسلامي الذي ضمن لهم داخل إطاره استقلالاً ذاتيًا كبيرًا، سواء أكان ذلك الاستقلال ثقافيًا أم ماليًا، كما ضمن لهم كافة حقوقهم في التدين والتعليم وتطبيق قوانين الأحوال الشخصية الخاصة بهم، وفي المقابل ألزمت الجماعات اليهودية أفرادها بأداء ما عليهم من الضرائب، والقيام بما هو منوط بهم من المصالح العامة للدولة[١٦٢].

وعلى هذا النحو عاش اليهود بين طبقات وطوائف المجتمع المغربي في عهد بنى مرين حياة طيبة تمتعوا فيها بحسن الجوار والإحسان والمودة من جانب جيرانهم المسلمين[١٦٣]. ومما يدل على ذلك ما ذكره ابن قنفذ(ت ٨١٠هـ/١٤٠٨م) من سماعه أنّ أحد اليهود في مراكش يتوسل ويتبرك بأحد الأولياء المسلمين، ولما سأله عن ذلك أخبره أنه وجد بركته في مواقف عدة تعرض لها[١٦٤]. وهو ما يشير إلى شعور اليهود في بلاد المغرب في ذلك العصر بقدر كبير من المودة والإحسان وحسن الجوار.

ورغم ذلك طُبّقت من وقت لآخر على اليهود بعض الأحكام الخاصة التي تميزهم عن المسلمين خاصة فيما يلبسون أو يركبون، وذلك وفقًا لشروط ذمتهم التي عاشوا بها بين أظهر المسلمين[١٦٥]. غير أن تلك الأحكام كانت متروكة لهم في غالب الأمر في ظل التعايش والسلام الاجتماعي بين المسلمين واليهود في مجتمع المغرب، وهو ما عكسته كتب النوازل وعبرت عنه أفضل تعبير.

كان من بين المسائل التي وردت عند البرزلي ما يدل على انخراط اليهود في أوساط المجتمع الإسلامي حتى إنه لا يمكن تمييزهم عن المسلمين[١٦٦]، حتى إننا

لنجد بين النوازل الفقهية أن يهوديًا صلى بالناس عامًا ثم رحل عنهم، فجاء من يقبلون شهادته فأخبرهم أن من كان يصلي بهم يهوديًا[١٦٧]. ولذا فقد شغلت تلك القضية حيزًا كبيرًا عند الناس، فكان من بين المسائل التي عرض لها البرزلي مسألة زيّ النساء اليهوديات، وهل يُلزمن بزيّ يعرفن به من المسلمات أم لا؟

وقد اختلفت أراء العلماء حول تلك المسألة، فالبعض رأى أنه لا ضرورة لتغيير زيّ نسائهم، وإنما كلف بذلك الرجال لكثرة مخالطتهم المسلمين، في حين رأى آخرون أن أمر التمييز أمرًا عامًا في الذكور والإناث، وجعل فريق ثالث الأمر مشروطًا؛ فإن كن يكثرن الخروج ويختلطن بالنساء المسلمات فلابد أن يلزمن زيًّا يعرفن به من المسلمات، وإن كن لا يكثرن الخروج والاختلاط بنساء المسلمين فلا يُلزمن بزيّ مخصوص[١٦٨]. وهذا الأمر لا يقتصر على النساء دون الرجال، وإنما يشمل الرجال أيضًا، ويعاقب من يخالف ذلك بالضرب والسجن ردعًا لغيره[١٦٩].

وبلغ من تسامح المسلمين تجاه اليهود في العصر المريني أن نجد في المعيار نازلة تتحدث عن الجار اليهودي، وكيفية التعامل معه، ويلمح السائل في سؤاله أن ذلك الجار قد تربى معه، ولذا يجرى بينهما حديث وابتسام ولين كلام[١٧٠].

وقد تلقى السائل جوابًا عن سؤاله يشير إلى قدر التسامح الذي حظي به اليهود في المغرب في ذلك العهد؛ إذ جاء فيه، أن الابتسام ولين الكلام مع أهل الذمة مباح؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١٧١]، ولكن على ألا يكون في ذلك نوع من التعظيم والتشريف، يشعرهم بالغبطة في دينهم، وأن السؤال عنه وتفقد أحوله إنما يكون بقدر ما يدعو له حق الجوار[١٧٢]. مع ضرورة ترك التودد إليهم وإكرامهم بالقدر الذي يستحقه الرؤساء على من

دونهم[١٧٣]؛ لأن ذلك منهيٌ عنه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء﴾[١٧٤].

ونهى العلماء عن الاحتفاء بأعيادهم وقبول هداياهم؛ لأنه من قبيل تعظيم الشرك[١٧٥]. وقد وردت على العلماء مسائل في أمر هدايا اليهود، فنقل لنا الونشريسي عن العلماء أن مقصد التهادي هو التودد؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "تهادَوْا تَحَابُّوا وتَذْهَب الشَّحْنَاء"[١٧٦]، وهذا التودد إنما يكون بين المسلمين، فبلغ نهي العلماء عن ذلك مع غير المسلمين حد الكراهة المغلظة[١٧٧].

وبلغ من كثرة اختلاط اليهود بالمسلمين في بلاد المغرب أن وردت نوازل حول الشرب والوضوء من بئر مشترك مع جار يهودي أو نصراني، فأجاز العلماء ذلك؛ لأن الله أباح طعامهم؛ ولأن الماء لا يفسد بشرب اليهودي منه، وتحَّفظ العلماء في الوضوء من سؤر اليهودي إن كان الماء قليلاً، وكذلك ما أدخل يده فيه تجنبًا للنجاسة؛ لعدم تحفظهم في ذلك الأمر[١٧٨].

ولكنّ الأمر كان على خلاف ذلك عندما وردت على العلماء نازلة في: هل يمنع اليهود من الاستقاء من نهر وسط بلد المسلمين يستخدمونه في الوضوء ويتطهرون ويغسلون ثيابهم؟ فأجاب العلماء أنه لا وجه لمنع اليهود من الاستقاء منه؛ لغلبة الطهارة مع كثرة الماء[١٧٩]. بل أجاز العلماء أن يجرى الماء لليهود من المساجد القريبة من دورهم، طالما أن ذلك لا يضر بالمسجد، والماء زائد عن حاجته مستقبلًا[١٨٠].

ووردت أيضًا على العلماء عدة مسائل في ذبيحة أهل الكتاب عامة وصيدهم، فكان جواز الأكل من ذبيحة أهل الكتاب وصيدهم موضع نقاش من العلماء والفقهاء، وقد أحل الفقهاء الأكل من ذبيحة أهل الكتاب استنادًا لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾[١٨١]، ولكنَّ الفقهاء اختلفوا في أمر صيدهم،

فقال بعضهم: لا يحل الأكل مما صاده غير المسلم، في حين أجاز آخرون الأكل من صيدهم(١٨٢).

ونستدل كذلك من بعض النوازل أن اليهود برعوا كأطباء ومارسوا مهنة الطب في أوساط المجتمع، وذلك بخلاف كونهم أطباء في دار الملك، فكثيرًا ما احتكم التجار إليهم في قضايا العيوب التي تظهر في الرقيق الذي يباع في الأسواق لتحديد قِدم تلك العيوب من حداثتها، وعليه يتمكن المفتون والعلماء من الفصل بين المتخاصمين. وقد اشترط بعض أهل العلم ألا يقتصر في ذلك الأمر على شهادة الأطباء من اليهود إن وجد من يحقق العيب من المسلمين(١٨٣). فقد تشكك بعض علماء المسلمين من عمل اليهود بالطب في بلاد المسلمين، فنقل العقباني(ت٨٧١هـ/١٤٦٧م) عن ابن الأكفاني(٧٤٩هـ/١٣٤٨م) قوله: "إن علم الطب من أشرف علوم الإسلام...، ولم يزل على ذلك الشرف حتى تعاطاه اليهود فلم يُشرف بهم، ولكن رُذل بهم"(١٨٤).

وتظهر النوازل أن أهل الذمة من اليهود والنصارى عملوا أيضًا كمعلمين، وكانت عندهم كتاتيبهم حتى إن الناس استفتوا أهل العلم في جواز إرسال أولادهم لتلقي العلم في كتاتيب أهل الذمة، وجاء رد العلماء بالنهى عن أن يترك اليهود والنصارى يعلمون المسلمين كتابهم؛ لأنهم غير مأمونين عليه، ويحرفونه، كما نهوا أن يعلمهم المسلمون القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾(١٨٥)، ولا أن يعلموهم الخط العربي أو الهجاء؛ لأن ذلك مما يستعان به على مس المصحف، ويبدو أن هذا الأمر كان منتشرًا بكثرة في بلاد المغرب، ولذا شدد العلماء في النهى عنه حتى قالوا: إن للإمام العدل أن يغيّره، بل ويعاقب عليه(١٨٦).

ويمكن لنا أن نستدل على ذلك التفاعل الإيجابي والتعايش بين اليهود والمجتمع الإسلامي في المغرب بأمرين مهمين هما: لجوء اليهود للتقاضي لدى حكام المسلمين، واهتمام المجتمع الإسلامي بفقراء اليهود.

١- التقاضي واحتكام اليهود لقضاة المسلمين:

ورد عند ابن سلمون[١٨٧] ما يشير إلى لجوء أهل الذمة – ومنهم اليهود– إلى الشريعة الإسلامية في أحوالهم الشخصية، فذكر نكاح الكتابيات الحرائر، فقال إنه يعقد مثل ما يعقد نكاح الحرائر المسلمات في المهر والشروط، واشترط أن ولي نكاحها هو أخوها أو ابن عمها، فإن لم يكن لها ولي عقد نكاحها أساقفة دينها، وإذا منعت الذمية من قبل أهل دينها من الزواج كان على السلطان أن يجبرهم على تزويجها؛ لأن منعهم لها من الظلم، هذا في حال أن من أراد زواجها من أهل دينها[١٨٨].

ويظهر من عدل الإسلام والحرية التي عاشها اليهود وغيرهم من أهل الذمة في رحابه، أنه منع السلطان من إجبارهم على تزويجها في حال أراد زواجها مسلم. ولكنَّ الأمر يختلف في حال كانت المرأة الكتابية معتقة لأحد المسلمين، أو مسبية، أو مستأمنة، ففي هذه الحالات رُد أمرها إلى السلطان، وهو الذي يعقد نكاحها.

ولم يقف الأمر في احتكام اليهود إلى قضاة المسلمين عند قضايا الأحوال الشخصية، وإنما امتد ليشمل غيرها من أمور التقاضي والمظالم، ففي أمور البيع والشراء، ورد سؤال عن الشفعة لأهل الذمة، وهنا نجد الشريعة الغراء تساوي بين الجار أو الشريك المسلم والذمي في أمر الشفعة، ولا سبيل لتدخل قضاة المسلمين إذا كان الجاران أو الشريكان من أهل الذمة إلا إذا تحاكموا هم لقضاة المسلمين[١٨٩].

كما وردت نازلة أخرى أن جماعة من اليهود يطالبون يهوديًا بدعوى، ويريدون محاكمته عند قضاتهم، وعندهم براهين ضده، وهو يرغب أن تكون محاكمته عند قاضي المسلمين؛ لأن بيده ما يبرؤه بشهود مسلمين. وكان رأي العلماء في ذلك أنه إذا ظهرت بيده وثيقة فيها من يقبل شهادته من المسلمين وجب محاكمته لدى قضاة المسلمين(١٩٠).

ولكنّ العلماء ذهبوا إلى آراء مختلفة في أمر احتكام اليهود إلى قضاة المسلمين، ففي نازلة أخرى لجأ فيها اليهودي المطلوب إلى قضاة المسلمين لرفع الظلم الواقع عليه من قضاة اليهود. فقد طالبته امرأة عند قضاتهم بأشياء ادّعتها على أبيه، وهو بيده وثائق مكتوبة بالخط المغربي وشهود مسلمون تبطل دعوتها، كما أثبت عند قاضي المسلمين عداوة قضاة اليهود لأبيه. فكان للعلماء آراء عدة في تلك النازلة، فقال بعضهم: يجوز النظر في تلك القضية إذا بيّن ذلك الرجل عداوة قضاة اليهود لأبيه، وإن حكموا عليه بعد أن بيّن ذلك لا يمضي حكمهم عليه. وقال آخرون بالإعراض عنهم؛ لأن نص القرآن بالتخيير ثم رُجّح الإعراض عنهم(١٩١) ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾(١٩٢).

وكان رأى بعض علماء المذهب المالكي أن الاحتكام إلى قضاة المسلمين إنما يكون برضى المتخاصمين، وزاد بعضهم برضى قضاتهم. ولكن إذا دعا أحد الخصمين إلى حكام مسلمين، والثاني إلى قضاتهم دفعوا إلى قضاتهم. ورد بعض العلماء الأمر إلى طبيعة القضية محل النظر، فإن لم يكن لهم فيها شريعة ولا حكم، حكم بين المتخاصمين بحكم الإسلام، وإن كان لهم فيها شريعة وحكم رُدّوا إلى أهل ملتهم، وحكم بينهم بحكم شريعتهم(١٩٣)، واستُثني من ذلك الدماء، ففي القتل لا يجوز الحكم إلا للإمام، فدماؤهم حفظت وحقنت بعهودهم وذمتهم من الإسلام(١٩٤).

ولما كان احتكام اليهود وغيرهم من أهل الذمة إلى قضاة المسلمين يستوجب الحلف واليمين، أثيرت في كتب النوازل قضية تحليف اليهود، وأين يحلفون؟ ومتى؟ وكان رأى الفقهاء أن اليهود يحلفون في موضعهم حيث يعظمون، ومن ثمَّ يحلفون يوم السبت، ويحلفون على التوراة التي يسمونها بالمجلجلة؛ لأنهم يرهبون اليمين بما يعتقدون تعظيمه، وهذا مما يستعان به على استيفاء الحقوق منهم[١٩٥].

ولكن ليست كل قضايا أهل الذمة يحق لقضاة المسلمين الفصل فيها، ولو تراضى المتخاصمون على الاحتكام لقضاة المسلمين؛ إذ منعت الشريعة الإسلامية قضاة المسلمين من الحكم بين أهل الذمة، ولا سيما اليهود – وهم أهل ربا– في معاملتهم الربوية، وغيرها من المعاملات المحرمة، ولا يُتعرض لهم فيما يجرى بينهم من فساد بيع أو سلف، إلاّ أن يتحاكموا إلى قضاة المسلمين[١٩٦].

٢-اهتمام المسلمين بفقراء اليهود.

ويتبين لنا مقدار الاهتمام الذى تمتع به فقراء اليهود من جانب جيرانهم المسلمين من خلال أجوبة العلماء في نوازل الحبس والوقف والوصية، حيث استُفتيَ العلماء في جواز الحبس من أموال المسلمين لأولئك الفقراء. فذهب العلماء في هذا الأمر مذاهب عدة، فأجاز البعض الحبس على مساكين اليهود والنصارى محتجين بقوله تعالى:﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[١٩٧] والأسير لا يكون إلا مشركًا. وقال آخرون: إنه لا وقف على ذمي، ولكن تكون وصية، والوصية في الذمي القريب أفضل في الأجر من المسلم الأجنبي. وقال العلماء بكراهة الوصية في الأباعد من أهل الذمة؛ لأن في ذلك إيثارًا على المسلمين، وعند الإمام مالك أن من قال: مالي صدقة على فقراء اليهود، لزمه الصدقة عليهم بثلث ماله[١٩٨]. وبلغ من حسن الجوار والسلام الذي عاينه اليهود

في مجتمع المغرب في ذلك العصر أن نجد يهوديًا يجعل مرجع حبسٍ حَبَسَهُ لابنته وعقبها لفقراء المسلمين[١٩٩].

وظهر على إثر ذلك التداخل بين المسلمين واليهود في أمر الحبس قضايا مختلفة كان أهمها الحبس على دور العبادة، فأغلق العلماء باب الوصية أو الحبس على دور عبادة الذميين أو حتى البيع لمن يتخذها كنيسة أو دارًا لعبادة النار، لأن في ذلك معصية، ولو وقع هذا البيع فإنه مردود ومفسوخ، كما أغلقوا باب الحبس من اليهود والنصارى على مساجد المسلمين[٢٠٠]. لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقول النبي(صلى الله عليه وسلام):(فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين)[٢٠١].

كما ظهرت أيضًا قضية بيع الوقف اليهودي للمسلمين، وقيام من يدعى أن الشيء المباع كان محبَّسا عليه. وقد حسم العلماء هذا الأمر أيضًا بأن أحباس أهل الذمة تخالف في أحكامها أحباس المسلمين، فحبس المسلم لا رجوع فيه، ولا سبيل لنقضه أو فسخه، أما الذمي، فيمكنه الرجوع في حبسه أو بيعه. وأما بيع حبس الذمي لمسلم وقيام من يطالب به، فلا علاقة له بالمسلم، وإنما يطالب من باع حبسه، وله حق مقاضاته عند أهل ديانته[٢٠٢].

ويتضح من خلال تلك النوازل أن المجتمع الإسلامي ببلاد المغرب في عصر بنى مرين قد شهد تفاعلًا كبيرًا على الصعيد الاجتماعي فيما بين المسلمين وأهل الذمة عامة واليهود على وجه الخصوص؛ فجل ما ورد في مسألة الحبس والوصية كان يخص إما فقراء اليهود أو فقراء المسلمين ووقف أو حبس كلا الطرفين لهما. وبعيدًا عن الحبس والوصية لفقراء المجتمع من الطرفين تبين لنا النوازل كيف آل أمر فقراء أهل الذمة جمعيًا، أو من عجز أو هرم منهم إلى ولاة أمر المسلمين ينفقون عليهم من بيت مال المسلمين[٢٠٣].

ويؤكد على التفاعل بين المسلمين واليهود ما ورد عند ابن سلمون في وليمة اليهودي، فقال: أنه لا بأس من أن يحضرها المسلمون ويأكلون منها[٢٠٤]. كما أورد البرزلي كذلك أمر مخالطة المسلمين لليهود في أنكحتهم، وهو من الأمور المنهي عنها، إلا ليدٍ سلفت أو في حالة الضرورات مثل المساعدة في فداء أسرى المسلمين[٢٠٥].

سلبيات التفاعل بين المسلمين واليهود

ورغم المنفعة المترتبة على ذلك للفقراء إلا أن التفاعل بين المسلمين واليهود على هذا النحو انعكس بصورة سلبية على المجتمع المسلم، وذلك على النحو التالي:

١- انتشار بدع اليهود بين المسلمين ولاسيما النساء

انتشرت العديد من العادات اليهودية بين المسلمين في مجتمع المغرب، وكانت النساء المسلمات هن الأكثر عرضة لتلك البدع، فنجد بعضهن لا تكتال القمح ولا غيره من الطعام، ولا تحضر بموضعه وهى حائض، وهذا من فعل النساء اليهوديات[٢٠٦]. ومما يظهر انتشار الكثير من البدع والأمور الخارجة عن الشريعة الإسلامية الغراء تعدد النوازل حول مسألة فساد العقيدة عند الزوجات سواء كان ذلك بمثل تلك البدع أو بأمور أخرى مما نهت عنه الشريعة، كما تبين تلك النوازل أن تلك البدع لم تكن منتشرة بين النساء دون الرجال، وإنما شملت المجتمع ككل[٢٠٧].

٢- سرقة وبيع أبناء المسلمين

كانت سرقة وبيع أبناء المسلمين من الأمور السلبية التي بينتها النوازل وأجوبتها، ومنها أن بعضًا من اليهود والنصارى قد عاثوا فسادًا بين المسلمين، وأن بعضهم قد أقدم على سرقة وبيع أبناء المسلمين[٢٠٨]، فاستفتى الناس العلماء في

كيفية التعامل مع أولئك المعتدين، وهل تعد اعتداءاتهم هذه نقضًا لذمتهم، فأفتى العلماء بأن أفعالهم المضرة بالمسلمين توجب نقض ذمتهم مستشهدين في ذلك بأفعال الصحابة مع أمثالهم(٢٠٩). وأقر الفقهاء أن نقض بعض أهل الذمة للعهد يعتبر نقضًا لذمتهم جميعًا(٢١٠). ولكن اختلف العلماء فيما ينتقض به عهد أهل الذمة؛ فقال بعض الفقهاء: إن هناك أفعالاً لا تنتقض بها عهود أهل الذمة إذا فعلوها(٢١١).

٣- **سب النبي محمد وإنكار نبوته**

أظهرت النوازل أيضًا تجاوز اليهود في إيذائهم للمسلمين بسبهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإنكار نبوته أو التقليل من شأن الإسلام وأهله، وهذا مخالفٌ للعهود التي عاشوا بموجبها بين أظهر المسلمين(٢١٢)، فتعرضوا لكثير من العقوبات بداية بالسجن لمدد متوسطة إلى الضرب الموجع، ووصل الأمر إلى ضرب الأعناق في بعض الحالات التي تجاوزوا فيها، وأقيمت عليهم الحجة، وقد ورد هذا الأمر كثيرًا في النوازل وأجوبتها، مما يدل على كثرة تكرار مثل تلك الحوادث. ولإغلاق هذا الباب حرّم الشرع الإسلامي سب جميع الأنبياء، وما أتوا به من عند الله، فلم يصح للمسلم أن يسب اليهودية، ولا نبيها، ولا كتابها، وكذلك النصرانية(٢١٣).

المبحث الخامس

الحياة الدينية لليهود في المغرب في العصر المريني

(٦٥٦-٨٦٩هـ/١٢٥٨-١٤٦٥م)

عاش اليهود في مجتمع المغرب في كنف بنى مرين في حرية كبيرة، إذ سمح لهم سلاطين بنى مرين بمعايشة المسلمين، كما سُمح لهم بممارسة شعائر دينهم في حرية تامة[٢١٤]. وقد ورد بالموسوعة اليهودية ما يشير إلى وجود معابد يهودية تمتع اليهود فيها بحرية ممارسة شعائرهم الدينية، ومنها احتفال كانوا يقيمونه لصبيانهم يتلون فيه مقاطع معينة من التوراة مع ترانيم خاصة عند نهاية القراءة[٢١٥].

ولكن مع كثرة عدد اليهود في المغرب بعد طردهم من الأندلس ظهر الخلاف حول دور عبادتهم، وهل لهم الحق في إحداثها أم لا؟

كان أساس الخلاف هو عدم الاستقرار على توصيف محدد لليهود: هل هم أهل صلح أم عنوة؟ وبإقرار أهل الأندلس تبين أنهم أهل صلح. وانقسم العلماء حيال ذلك إلى فريقين، الأول: يرى أنه يباح لهم إحداث دور عبادتهم، والثاني: يرى أنه لا يباح لهم إحداث دور عبادتهم في ديار المسلمين، وعليهم أن يقيموا شريعتهم في دورهم دون ناقوس يُضرب أو فعل يظهر، فيوم السبت رغم قدسيته عند اليهود إلا أن القضايا التي أثيرت من قبل اليهود لتعطيل العمل في ذلك اليوم أبطلها العلماء، وألزموهم بالعمل فيه؛ لأنهم في بلد إسلامي[٢١٦].

ورغم ذلك كانت لليهود بيعة قديمة العهد في توات[٢١٧]، ومن ثمَّ مارس اليهود شعائرهم الدينية بحرية تامة في تلك البيعة وغيرها دون أدنى مضايقة من المسلمين[٢١٨]، وكان ذلك مما رجحه وأفتى به الفقهاء، فقالوا بأن الوفاء لأهل الذمة

واجب. ولكن لم يسمح لليهود ولا لغيرهم من أهل الذمة بضرب النواقيس في تلك البيع[٢١٩].

وكانت قضية يهود توات التي أثارها الفقيه المغيلي[٢٢٠] من أبرز القضايا التي شغلت فقهاء بلاد المغرب[٢٢١]. كانت تلك القضية قد وقعت لما كثرت أعداد اليهود في بلاد المغرب خاصة في المناطق الجنوبية المتاخمة للصحراء، وذلك في أعقاب صدور قرار بطرد اليهود من إسبانيا وصقلية سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م. وقد مارس اليهود في بلاد المغرب العمل في التجارة والصناعة إلى أن وقعت تلك الفتنة التي قتل فيها بعضهم، ونهبت أموالهم[٢٢٢]. ويبدو من كلام الوزان أن السبب فيما وقع لليهود هو انتشار بعض الممارسات المحرمة في أوساط المجتمع في عموم بلاد المغرب في أعقاب وصول اليهود إليها، مما أدى لظهور أمراض لم يكن يعرفها المجتمع المغربي مثل داء الزهري الذي نسبوه إلى المهاجرين، فقالوا داء الإفرنج[٢٢٣].

وكان الفقيه العصنوني[٢٢٤] قد كتب بتلك النازلة لفقهاء تلمسان وفاس لاستطلاع رأيهم في تلك النازلة. وكان العصنوني قد أرفق برسالته رأيه في تلك النازلة، والذى بناه على رأي سابقيه من العلماء، فتوات من المناطق القديمة، وهى في طريق التجارة وقد مر بها الكثير من العلماء، فلم ينكروا على أهل الذمة اتخاذهم دورًا لعبادتهم، كما احتج بنوازل لابن الحاج على منوال تلك النازلة[٢٢٥].

وأورد العصنوني في رسالته رأى الفقيه المغيلي الذى نادى بضرورة هدم بِيَع اليهود، وادعى أن الإجماع أن تهدم، وأن من سعي في هدمها فهذا دليل محبته لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وأن من هدمها، فقتل فهو في الجنة، ومن حماها فهو في النار، وبيّن أيضًا أن ما وقع من اليهود يوجب الزجر والأدب لا هدم كنائسهم، ولا نهب أموالهم، وهم في غاية الذلة والصغار، ويؤدون ما عليهم من

عوائد، وبيّن كذلك أن لليهود دربًا مخصوصًا، ومن يعيش منهم خارجه قليل، وأن كنيستهم بين بيوتهم لا تلاصق بيت مسلم(٢٢٦).

وكان رأى الونشريسي في تلك النازلة موافقًا للمغيلي، فقال بهدم كنائس اليهود في توات، فالبلاد التواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية بلاد إسلامية اختطها المسلمون لا يجب أن يُقر فيها بَيِعة لليهود(٢٢٧). واحتج الونشريسي بآراء كبار الفقهاء، وعلى رأسهم ابن سهل(٢٢٨). كما احتج كذلك بأفعال الصحابة والتابعين، كالخليفة عمر بن الخطاب، وأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، والحسن البصرى(رضى الله عنهم جميعًا)، فقد أقروا عدم إحداث الكنائس والبِيع، ولا تجديدها في بلاد المسلمين(٢٢٩).

وقد ترتب على تلك النازلة الكثير من الأحداث، فقد أيد بعض العلماء في فاس وتلمسان رأي المغيلي، فعمد المغيلي ومن معه من أهل توات إلى دور عبادة اليهود، فهدموها، كما قُتل بعض اليهود في تلك الأحداث(٢٣٠).

فتحت تلك النازلة أيضًا الباب أمام الفقهاء للنظر في عامة أحوال اليهود بمجتمع المغرب في ذلك العهد، وما هم عليه من ركوب الخيل المسرجة بسروج ثمينة، واللباس الفاخر، والتحلي بحلية المسلمين من لبس الخف والمهماز(٢٣١)، والعمائم. وقد أنكر العلماء ذلك غاية الإنكار، وأن على ولاة الأمر رد الأوضاع إلى نصابها فهذا لا يجوز في بلاد المسلمين، ولابد من التمييز بين المسلمين وأهل الذمة الذين يعيشون بينهم، وحددوا كذلك ما يميز به أهل الذمة عن المسلمين(٢٣٢).

وكان ترك الأمر دون تمييز بين المسلمين وأهل الذمة قد دفع أهل الذمة – تحت التستر بزي المسلمين– إلى بيع الخمر للمسلمين، وقع ذلك في أيام يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني(٦٥٨-٦٨٥هـ/١٢٥٩-١٢٨٦م)، فنهوا عن ذلك فلم ينتهوا، فقتلوا، وسبوا في جميع بلاد بنى مرين(٢٣٣).

ولما احتج اليهود بخوفهم على أنفسهم وأموالهم إن ظهر عليهم ما يميزهم من علامات، فقد رد العلماء بكذبهم لحصول الأمن في البلاد وحرص المسلمين على حمايتهم، ولكنهم لم يجدوا من ينكر عليهم هذا، فتمادوا فيه. وهنا شدد الفقهاء أيما تشديد في حكمهم على من نصر اليهود على هذا الحال أو ساعدهم، فقالوا بكفره أو فسقه الموجب للعنة الله[٢٣٤] محتجين بقوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٢٣٥].

كان من بين ما ورد في النوازل الفقهية أن مناظرات وقعت بين العلماء المسلمين وأهل الذمة عامة وعلى رأسهم اليهود. كان محور تلك المناظرات أمورًا دينية ومفاضلة بين الأنبياء، وتدلنا النوازل أن العلماء المسلمين أبلوا بلاءً حسنًا في تلك المناظرات، دفعت مناظريهم إلى الاعتراف لهم بالعلم والفضل[٢٣٦]. والشاهد في هذا الأمر هو الحرية التي تمتع بها اليهود في الجهر بمعتقداتهم وممارسة شعائر دينهم دونما أدنى تضييق عليهم، لدرجة مناظرتهم للمسلمين، وما يشوب مثل تلك المناظرات من التشكيك في دين الإسلام.

كما أثيرت قضية أخري حول المفاضلة بين التوراة والإنجيل والقرآن، رغم أن جميعها كلام الله. وقد عرض الأمر في نازلة فقهية على العلماء، فبيّن العلماء أن التوراة والإنجيل نسخت وضُيعت وحرفت، فلا يجوز النظر فيها، أما القرآن فالأفضلية تقع بين آياته وبعضها البعض، فنجد بعض الآيات أفضل في الثواب من آيات أخري، كما ورد في "قل هو الله أحد" وأنها تعدل في ثوابها ثلث القرآن. وعليه فكيف لا يكون ما تجب تلاوته ويثاب عليه أفضل مما لا يجوز النظر فيه لتحريفه[٢٣٧].

ورغم كل ذلك فقد عاش اليهود في كنف المجتمع الإسلامي في بلاد المغرب الأقصى في عصر بني مرين حياة كريمة تمتعوا فيها بحرية كبيرة على الصعيدين الاجتماعي والديني. وهو ما يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن العالم الإسلامي سواء في مغربه أم مشرقه كان ملاذًا آمنًا لجماعات اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد ثم الطرد من أوروبا بأسرها خلال العصور الوسطي. غير أن التسامح الذي أبداه المسلمون تجاه اليهود قد فتح الباب على مصراعيه أمام اليهود للتفوق والسيطرة، فأمسكوا بزمام السلطة، وسيطروا على الحياة الاقتصادية، وهو ما دفع بعض العلماء وعلى رأسهم المغيلي، والونشريسي – الذي مال إلى آراء المغيلي في اليهود– للتحذير من خطر اليهود على بلاد المسلمين.

ورغم ذلك حظي اليهود في بلاد المغرب برعاية ملوك بني مرين، وكان من ثمار تلك الرعاية أن تحسنت أوضاع اليهود في بلاد المغرب عامة وبلاد المغرب الأقصى على وجه الخصوص، ولعل ذلك كان سببًا في تزايد هجرات اليهود نحو بلاد المغرب في الفترات اللاحقة مباشرة للعهد المريني؛ وهذا يعني أن فترة العصر المريني وطدت للوجود اليهودي ببلاد المغرب الأقصى، كما مكنت العديد من العائلات اليهودية من الحصول على وضعية ممتازة في أوساط المجتمع المغربي. وحصلت العديد من تلك العائلات على وظائف مهمة في البلاط الملكي، واستمر ذلك الأمر، بل ازداد في الفترات اللاحقة على فترة حكم بني مرين[٢٣٨].

الخاتمة

- بينت الدراسة أن تهاون ولاة الأمر في ردع اليهود والتمييز بينهم وبين المسلمين أدي إلى تفشى الكثير من المفاسد في المجتمع الإسلامي خاصة بين النساء المسلمات من جراء اختلاطهن بالنساء اليهوديات.
- وبينت الدراسة كذلك أن وجود اليهود في مجتمع المغرب الأقصى كانت له جوانب سلبية كثيرة، خاصة في الأمور الشرعية، كسبّهم للرسول – صلى الله عليه وسلم – وإنكار نبوته، وبيع الخمور، وخطف أبناء المسلمين وبيعهم كرقيق.
- توصلت الدراسة كذلك إلى التفاعل الاجتماعي الكبير بين المسلمين واليهود في مجال الوقف والحبس لمساعدة الفقراء من الجانبين. كما بينت جانبًا من الاختلافات الشرعية بين المسلمين واليهود في أمور الحبس والوقف والوصية.
- أظهرت الدراسة الحرية الكبيرة التي تمتع بها اليهود في عرض أفكارهم ومناقشتها مع المسلمين، فيما كان يُعقد من مناظرات بين علماء المسلمين من جانب ورجال الدين من أهل الذمة من جانب أخر.
- ألقت الدراسة الضوء على جانب مضيء من اهتمام المسلمين برعاياهم من أهل الذمة، ولاسيما اليهود الذين عاشوا بكثرة بين المسلمين في المغرب الأقصى في فترة البحث، خاصة وقد تعرضوا للطرد من جهات عدة.
- أبرزت الدراسة مدى رحابة التشريع الإسلامي بوضوحه وقدرته على استيعاب ما لم يستوعبه غيره من التشريعات، الأمر الذي دفع يهود المغرب الأقصى

للاحتكام إلى قضاة المسلمين في العديد من قضايا الأحوال الشخصية والبيع والشراء وغيرها من القضايا.

- أظهرت الدراسة أيضًا عدم تعرض اليهود للاضطهادات التي كانوا يتعرضون لها في غير بلاد المسلمين، وأن هذا لم يحدث إلا في أوقات الأزمات، كأزمة يهود توات على سبيل المثال. وكان الاضطهاد فيها وفي غيرها عارضًا وليس دائمًا.
- بينت الدراسة أن العقوبات التي أنزلها ولاة الأمر بالخارجين من اليهود كانت على قدر ما ارتكبوه من الجرم.
- بينت الدراسة أن مسألة دور عبادة اليهود قد شهدت انقسامًا بين أهل العلم والرأي، فرأى البعض أن من حقهم إحداث تلك الدور، ورأى آخرون أنه ليس من حقهم ذلك، فحسم الأمر بأن مرد ذلك هو الذمة التي صُولحوا عليها.
- أظهرت الدراسة كذلك الحرية التي تمتع بها اليهود في مجتمع المغرب الأقصى فيما يخص ممارسة شعائر عقيدتهم واحتفالاتهم الدينية.
- بينت الدراسة أن الوضعية الممتازة التي تمتع بها اليهود في المغرب في عهد المرينيين مهدت الطريق أمام أسلافهم الذين ازداد وضعهم تميزًا في مجتمع المغرب، وتدّعم موقفهم في مؤسسات الدولة الرسمية، فشغل بعضهم منصب المستشار الشخصي لملك المغرب، كما عهد لبعضهم بمسائل مهمة في إدارة البلاد.
- يرى الباحث في خلاصة هذه الدراسة أن ثمة اختلاف واضح بين كتب النوازل وكتب التاريخ، وينصب هذا الاختلاف في أمرين، الأول هو الفرد، فإن كانت كتب النوازل تتعامل مع كافة أفراد المجتمع عامتهم وخاصتهم، فكتب التاريخ تتعامل في أغلبها مع خواص الناس دون عامتهم. والأمر الثانى هو المكان،

فكتب النوازل مسرحها الأسواق والحوانيت والميادين، ومختلف الأماكن التي يجتمع فيها الناس، وتمثل ميدانًا لتعاملاتهم. أما كتب التاريخ فمحيطها في الغالب البلاط ودواوين الحكم. ولعل هذا الأمر أكسب بمرور الوقت كتب النوازل أهمية كبيرة، وجعلها في مقدمة المصادر التي يستند عليها الدارسون لمجتمعات المغرب خلال العصر الإسلامي.

الملاحق

خريطة(١) توضح تيارات هجرة اليهود من إسبانيا

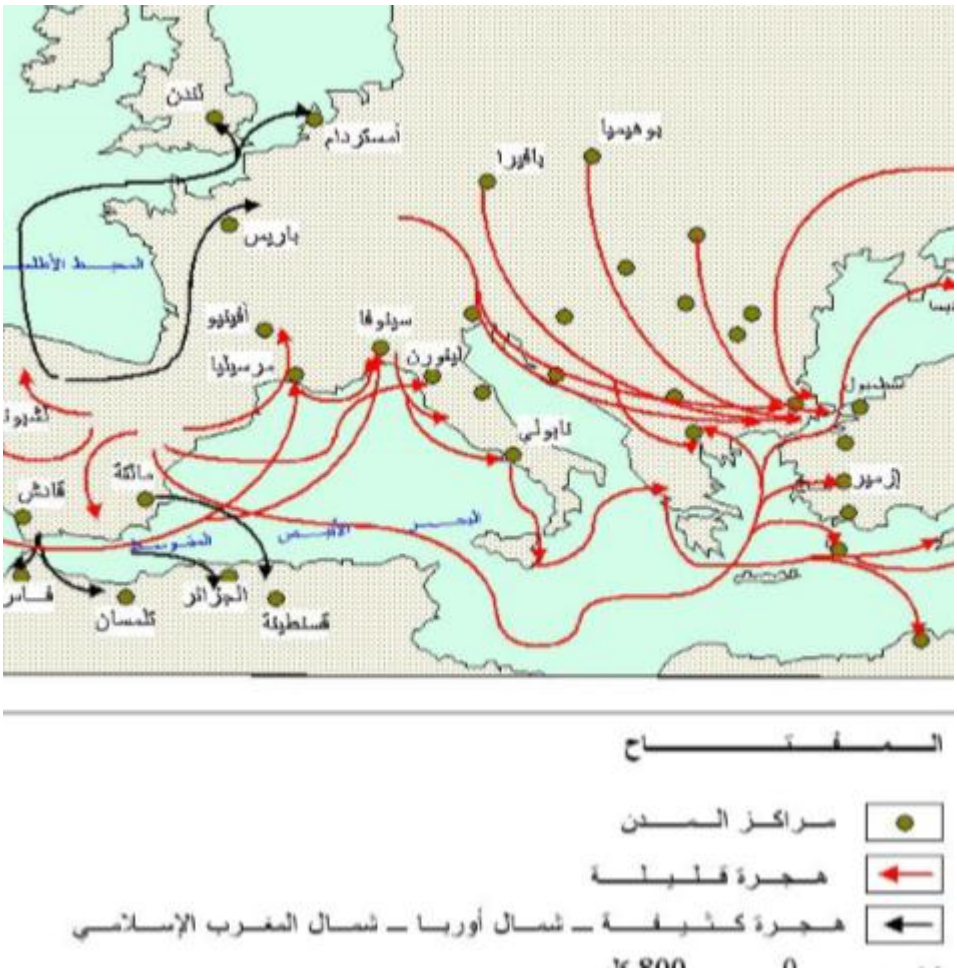

فاطمة بوعمامة، مرجع سابق، ص٥٤.

شكل(١) نموذج للحي اليهودى(الملاح) في مدينة فاس بالمغرب الأقصى

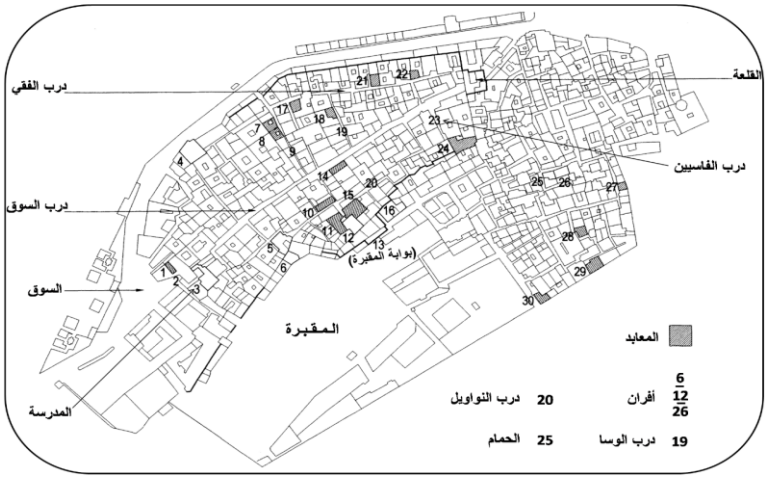

شكل(٢) مسقط أفقي لأحد المنازل اليهودية في الحي اليهودي

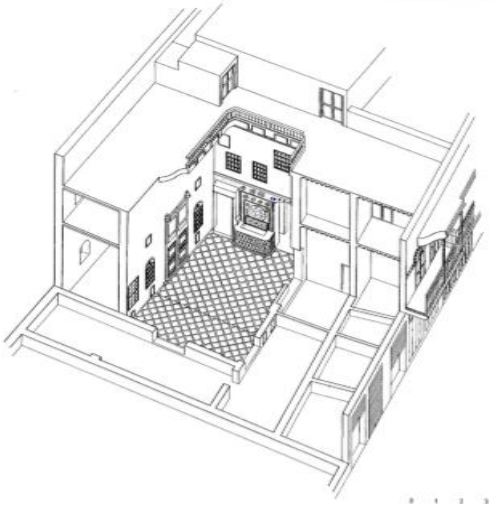

كان هذا الحي يشتمل على أماكن خدمات اجتماعية واقتصادية ومدارس ومقابر لليهود

شكل(٣) منظر عام للمقابر بالملاح اليهودية

Sources: Miller, Susan Gilson (Others), Op. Cit., p. ٢١١, ٣١٤, ٣٢٣.

شكل(٤) عائلة كانسينو(Cansino Family) إحدى العائلات اليهودية المهاجرة إلى بلاد المغرب، والتي اكتسب أفرادها وضعية ممتازة في بلاد المغرب عبر أربعة أجيال.

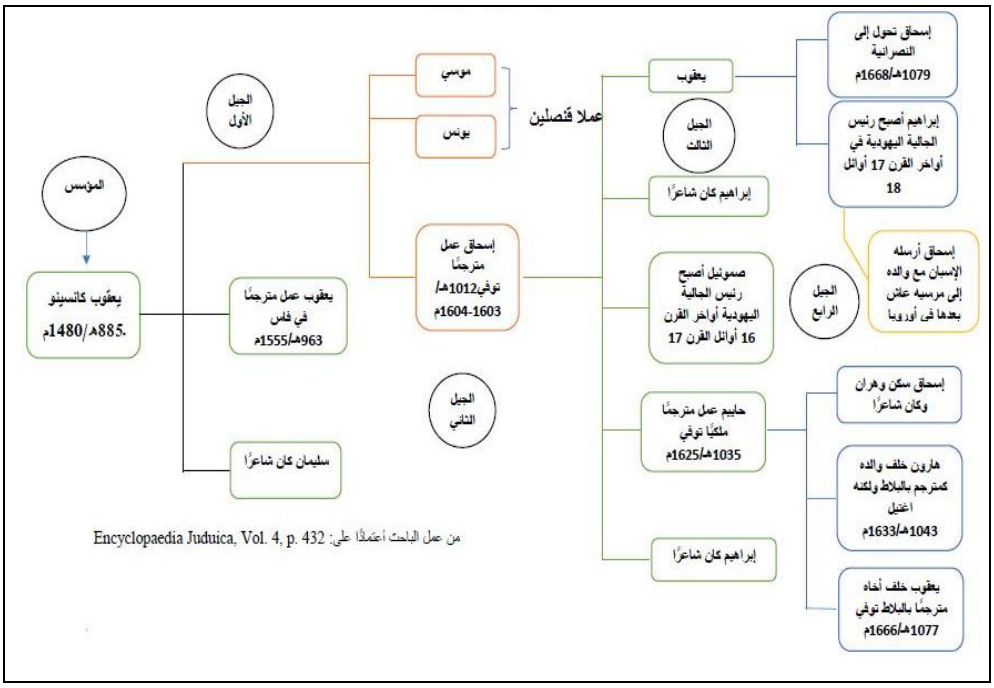

من عمل الباحث أعتمادًا على: Encyclopaedia Juduica, Vol. 4, p. 432

الهوامش والحواشى:

(١) ابن غازى، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، ط٢، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣١-٣٢.

(٢) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، جـ٢، ط١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٠-١١.

(٣) نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجى، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المرينى "٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٦.

(٤) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص١٠.

(٥) صالح بن قربة، عبد المؤمن بن على مؤسس دولة الموحدين، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩١، ١٩؛ للمزيد من التفاصيل راجع: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص٦٨٣-٦٨٧، ٦٩١-٦٩٢.

(٦) ابن غازى، مصدر سابق، ص١٩-٢٠.

(٧) روجيه لو تورنو، فاس في عصر بنى مرين، ط١، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٧، ص٢٥.

(٨) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ١٠.

(٩) خليل جليل بخيت القيسى، الإنجازات الحضارية لدولة بنى مرين في المغرب الأقصى للمدة من ٦٦٨-٨٦٩هـ، مج١٩، ع٣٧، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد، د.ت، ص٣١٩.

(١٠) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص٧٨٤-٧٨٥.

(١١) ابن منظور، لسان العرب، مج١١، ط١ دار صادر، بيروت، ١٣٠٠هـ، ص٦٥٩.

(١٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، جـ٢، ط١ دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص٨٤٤-٨٤٥، ٨٤٩، ٨٥٠.

(١٣) النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيت الأفكار الدولية، ط١، الأردن، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١١٠٤.

(١٤) عبد الحق بن أحمد حميش، مدخل إلى فقه النوازل، ع١٠، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ٢٠٠٩، ص٢٣٣-٢٣٤.

(١٥) عابد بن محمد السيفانى، معنى النوازل والاجتهاد فيها، ع١، مجلة الأصول والنوازل، السعودية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩، ص١٧-١٨.

(١٦) أنور محمود زناتي، كتب النوازل مصدراً للدراسات التاريخية والفقهية في المغرب والأندلس، ط١، دار عين، الرباط، ٢٠١٤، ص١.

(١٧) محمد بن شريفة، وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض، ع٢٦٤، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٨٧، ص١.

(١٨) عمر عبد الكريم الجيدى، المغاربة واستحداث مصدر تشريعي جديد، ضمن كتاب مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط١ مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣، ص١٨١.

(١٩) مصطفى الصمدي، فقه النوازل عند المالكية تاريخًا ومنهجًا، ط١، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٥.

(٢٠) محمد الحبيب الهيلة، مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن ١١/٥ إلى نهاية القرن١٥/٩، ع٩، مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية للنشر والتوزيع، تونس، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٢٣.

(٢١) نور الدين غرداوي، كتب الفتاوى مصدرًا لكتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمغرب الأوسط نوازل المازونى نموذجًا، ع١٤، مجلة الدراسات التاريخية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر٢، الجزائر، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٩٧-٩٩.

(٢٢) أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن شبطون اللخمي، من أهل قرطبة، ينتمي إلى بيت من بيوت العلم، وقد تولى القضاء بقرطبة، فوضع كتاب الأقضية في عشرة أجزاء، وتوفي سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م وهو متولٍ للقضاء والصلاة معًا. انظر: (ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن يحيي الدين الجنّان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٩٠).

(٢٣) محمد أبو عبد الله بن عمر بن لبابة القرطبي، كان فقيهًا مقدمًا على أهل زمانه في حفظ الرأي والفتيا، تولي الفتيا في قرطبة زمانًا، كان معاصرًا لابن شبطون، توفي سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م. انظر: (ابن فرحون، المصدر السابق، ص٣٤٣-٣٤٤).

(٢٤) مصطفى الصمدي، مرجع سابق، ص١٧٠، ٢٢٠.

(٢٥) أبو إسحاق بن أحمد البرزلي القيرواني التونسي مفتى القيروان وفقيهها وحافظها وإمام جامعها الكبير بعد الإمام الغبريني. أخذ البرزلي العلم عن جملة من العلماء، منهم ابن عرفة والرصَّاع وابن مرزوق الحفيد وغيرهم، وله ديوان في الفقه، وله كتاب الحاوي في النوازل، وهذا الكتاب اختصره البوسعيدي والونشريسي، وله غيره فتاوي كثيرة في مختلف فنون العلم. انظر: (مخلوف، شجرة النور الذكية في طبقات المالكية، ط١، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ص٢٤٥، ترجمة رقم ٨٧٩. انظر أيضًا: مصطفى الصمدي، مرجع سابق، ص١٥٦).

(٢٦) أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد الونشريسي نسبة إلى ونشريس، وهو جبل مرتفع في غرب الجزائر. ولد سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٩م، ونشأ بمدينة تلمسان وأخذ العلم فيها على جماعة من أعلامها، ثم رحل إلى فاس، وأخذ على عدد من علمائها، واستقر به المقام في فاس للتدريس في القرويين وغيره من مساجدها، وتخرج على يديه عدد من فقهاء فاس، وله عدد من المصنفات أهمها المعيار المعرب. انظر: (ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط١ دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦، ص١٧٣؛ القرافى، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق على عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٤٣-٤٤).

(٢٧) Singer, Isidore, and Cyrus Adler. *The Jewish encyclopedia: a descriptive record of the history, religion, literature, and customs of the Jewish people from the earliest times to the present day*. Vol. ١. Funk and Wagnalls, ١٩١٢. pp. vii-viii.

(٢٨) الإدريسي، نزهة المشتاق في أختراق الأفاق، جـ١، ط١، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢، ص٢٥٦.

(٢٩) فكَيك تقع في وسط صحراء نوميديا غربي سجلماسة، ويعيش أهلها في رخاء نسبي بفضل الصناعة والتجارة التي يمارسونها، فالنساء يصنعن نسيجًا من الصوف الناعم جيد الصنع

يشبه الأغطية، وينقله الرجال بدورهم إلى أسواق فاس وتلمسان حيث يلقى إقبالًا كبيرًا من التجار ويباع بأثمان مرتفعة، هذا فضلًا عن ممارسة أهلها التجارة في بلاد السودان الغربى. انظر: (مارمول كزبخال، إفريقيا، جـ٣، ط١، ترجمة محمد حجى وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، جـ٣، ص١٦٢).

(٣٠) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، ط١، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص٢٧٨-٢٨٠؛ التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٠٧-١٠٩.

(٣١) ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، ط١، نشره محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م، ص١٤-١٥.

(٣٢) الملزوزى، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، ط١، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص٦٧؛ راجع أيضًا: ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ط١، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص١١-١٢.

(٣٣) معركة العقاب: وقعت في ١٥ صفر ٦٠٩هـ/٢٧ يوليو ١٢١٢م، بين دولة الموحدين من جانب، وممالك أسبانيا النصرانية من جانب آخر، وكانت تلك المعركة هي بداية الانهيار لدولة الموحدين. راجع: (ابن الأبار، الحلة السيراء، حققه: حسين مؤنس، جـ١، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٠-٢٢).

(٣٤) الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، جـ٣، ط١، تحقيق جعفر الناصرى ومحمد الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٣-٥.

(٣٥) إن وضع تاريخ محدد لهجرة اليهود واحتكاكهم بالسكان الأصليين لشمال أفريقيا أمر في غاية الصعوبة؛ حيث إن الأراء المتعلقة بهجرة اليهود أو وصولهم إلى تلك الجهات اختلطت فيها الوقائع التاريخية بالأسطورة. راجع: فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين(٧-٩هـ/١٣-١٥م)، ط١، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١، ص١٣-١٥. وللمزيد حول الوجود اليهودي في سواحل البحر المتوسط الغربية راجع:

(Ortega, Manuel L. *Los hebreos en Marruecos*. Compañía ibero-americana de publicaciones, ١٩٢٩. ٧-١٢).

(٣٦) حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب(تاريخ، ثقافة، دين)، ط١، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغنى أبو العزم، مكتبة المهتدين، الدر البيضاء، ١٩٨٧، ص٩.

(٣٧) Campbell, Christopher L., et al. "North African Jewish and non-Jewish populations form distinctive, orthogonal clusters. *"Proceedings of the National Academy of Sciences* ١٠٩.٣٤ (٢٠١٢): ١٣٨٦٩.

(٣٨) Hirschberg, HZ JW. "The problem of the Judaized Berbers." *The Journal of African History* ٤.٣ (١٩٦٣): ٣١٣-١١٤,٣٣٩.

(٣٩) إن مثل هذه الأفكار شاعت وانتشرت في المجتمع على نطاق واسع خلال الحقبة الاستعمارية؛ إذ كانت مناسبة للمستعمر لإحداث فرقة في أوساط المجتمع المغربي، وكذلك لإخراج فئة من المجتمع من تحت حكم القانون والشريعة الإسلامية ليُحكم وفقًا لعاداته وتقاليده القديمة، وهو ما يسهل على المستعمر إعمال سياسته في ذلك المجتمع وبين أبنائه كل على حده. للمزيد راجع:

(Schroeter, Daniel J. "The shifting boundaries of Moroccan Jewish identities." *Jewish social studies* ١٥.١(٢٠٠٨): ١٤٥-١٤٩).

(٤٠) اعتبر اليهود كغيرهم من أصحاب الديانات السماوية نشر اليهودية من أعمال الورع والتقوي مستندين في ذلك على ما ورد في كتابهم المقدس، وهذا أدى بشكل طبيعى إلى زيادة أعداد اليهود، ولكن هذا الأمر اختلف بعد السبى البابلى في القرن السادس قبل الميلاد؛ إذ أصبح اليهود أكثر ميلًا إلى العزلة والعيش في مجتمعات خاصة تدعى الجيتو يطبقون فيها نظمهم الخاصة. كما أصبحوا يميلون تحت حكم الآخرين إلى وضع الطائفة الدينية والأمة المقدسة والشعب المختار، ولذا توقفوا عن نشر ديانتهم، فأخذت أعدادهم في التناقص. راجع: (أحمد أيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، ط١، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٦، ص٣٩٥-٣٩٧؛ رشاد الشامى، اليهود واليهودية في العصور القديمة بين وهم الكيان السياسى وأبدية الشتات، ط١، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠١، ص٩-١١، ١٥٨-١٦١).

(٤١) Abitbol, Michel. "Juifs d'Afrique du Nord et expulsés d'Espagne après ١٤٩٢." *Revue de l'histoire des religions* ٢١٠.١(١٩٩٣): ٥١.

(٤٢) Meakin, JE Budgett. "The Jews of Morocco." *The Jewish Quarterly Review* ١٤.٣(١٨٩٢): ٣٧١-٣٧٢.

(٤٣) لم يكن هذا اللقب حكرًا على رؤوساء الجالية اليهودية في بلاد المغرب فحسب، وإنما حمله رؤوساء الجالية اليهودية في كافة المجتمعات الإسلامية التي عاشوا فيها، كما لعب اليهود وعلى رأسهم النواجيد نفس الدور الذي لعبوه في بلاد المغرب على عهد بنى مرين، وبرز ذلك على نحو واضح في المجتمع المصرى الذى كان يضم جالية يهودية تعد من انشط الجاليات اليهودية في شمال أفريقيا. انظر:

(Goitein, Shelomo Dov. "The medical profession in the light of the Cairo Geniza documents." *Hebrew Union College Annual* ٣٤ (١٩٦٣): ١٨٠-١٨١; Cohen, Mark R. "Correspondence and social control in the Jewish communities of the islamic world: A letter of the nagid Joshua maimonides." *Hîstôry¯ a yêhûdît= Jewish history* ١.٢ (١٩٨٦): ١٤, ٤٣, ٤٥-٤٦).

(٤٤) Michael Berenbaum (Editor), Encyclopaedia Juduica. Second Edition, *Keter published House Ltd* ٣ (٢٠٠٧): ١٠٤-١٠٦.

(٤٥) كانت مسألة يهود أوروبا من المسائل المهمة التي نوقشت في أغلب المجالس المسكونية والمجالس المحلية كذلك، وقلما يخلو أحد تلك المجالس من مناقشة أمر يخص اليهود، ولكنّ أهم المجالس التي اتخذت فيها قرارات ضد اليهود كان مجلس لاتيران الرابع٦١٢هـ/١٢١٥م، ومجلس فيينا٧١١-٧١٢هـ/١٣١١-١٣١٢م. للمزيد من التفاصيل راجع:

(Grayzel, Solomon. "Jews and the ecumenical councils." *The Jewish Quarterly Review* ٥٧ (١٩٦٧): ٢٨٧-٢٨٨, ٢٩٠-٢٩٢, ٢٩٦-٢٩٧, ٣٠٠-٣٠٣).

(٤٦) فاطمة بوعمامة، مرجع سابق، ص٤٩.

(٤٧) Dufourcq, Charles-Emmanuel. *La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination Arabe*. FeniXX, ١٩٧٨. P.١٨٠

(٤٨) مجمع اللاتيران الرابع: عقد في مدينة لاتيران، ودعا إليه البابا أنوسنت الثالث، وحضره نحو ألف وأربعمائة وأربعون أسقفًا وثمانمائة من الأباء ورؤوساء الأديرة، فضلاً عن ممثلي السلطة الزمنية، وناقش المجمع عدد من الموضوعات حول البدع التي ظهرت في المسيحية. انظر: (أنطوان عرب وابرلص ميشال، مدخل إلى المجامع المسكونية، ط١، سلسلة تاريخ المجامع المسكونية والكبري، المكتبة البوليسية، بيروت، ١٩٩٦، ص٨٠).

(٤٩) Kuttner, Stephan, and Antonio García Y. García. "A new eyewitness account of the Fourth Lateran Council." *Traditio* ٢٠ (١٩٦٤): ١٣٤, ١٧٦.

(٥٠) Todeschini, Giacomo. Christian Perceptions of Jewish Economic Activity in the middle ages, Wirtschaftsgeschichte der mittelalterlichen Juden. *Fragen und Einschätzungen München* (٢٠٠٨): ١, ٥-٦

للمزيد من التفاصيل حول ليهود ودورهم في الأندلس راجع: (ليوبولد تورس بالباس، المدن الأسبانية الإسلامية، ط١، ترجمة إليو دورو دى لابنيا، راجعه نادية محمد جمال الدين وعبد الله بن إبراهيم العمير، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٣١٣-٣٢٠).

(٥١) Ortega, Manuel L. Op. Cit., pp. ٢٧٤-٢٧٥.

(٥٢) انظر خريطة (١) التي توضح تيارات هجرة اليهود من الأندلس في حوض البحر المتوسط.

(٥٣) Mazrui, Ali A. "When Spain Expelled the Jews and the Moors A Lesson in History." *Africa Today* ٢٠.١ (١٩٧٣): ٧٣-٧٤.

(٥٤) Tolan, John, Martha Keil, and Philippe Buc. "Jews and Christians in Medieval Europe: The historiographic legacy of Bernhard Blumenkranz." *Brepols Publishers n.v., Turnhout,* Belgium (٢٠١٥): ٣١٢, ٣١٩.

(٥٥) Dufourcq, Charles-Emmanuel. L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII' et XIV siècles, *Paris, Presses Universitaires* (١٩٦٦): ٣٥, footnote. ٥.

وتشير بعض التقديرات إلى أن اعداد اليهود في جميع الأراضى التي سيطر عليها الأسبان بلغ نحو ٦٠٠٠٠ يهودى. انظر: (Dufourcq, Charles-Emmanuel, Op. Cit., p. ٣٥).

(٥٦) Abitbol, Michel. Op. Cit., p. ٥٢, ٥٥, ٥٧, ٥٩.

(٥٧) مصطفي نشاط، جوانب من الديمغرافية التاريخية لليهود والنصارى بالمغرب في العصر المريني، ع١، مجلة كنانيش، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، المغرب، ١٩٩٩م، ص٦٦-٦٧.

(٥٨) حاييم الزعفرانى، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٥٩) الغُقباني، كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، ط١، تحقيق على الشنّوفي، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق، ١٩٦٧، ص١٥٧، ١٧٠.

(٦٠) Dufourcq, Charles-Emmanuel. La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination arabe, p.١٨٤.

(٦١) العُقباني، المصدر السابق، ص١٥٨.

(٦٢) حاييم الزعفرانى، مرجع سابق، ص١٤.

(٦٣) Abitbol, Michel. Op. Cit., p.٤٩,٨٤.

(٦٤) Michael Berenbaum (Editor), Encyclopaedia Juduica, Second Edition, *Keter published House Ltd* ٥ (٢٠٠٧): ٣٧٢.

(٦٥) دَبْدُو هي مدينة كبيرة على منحدر جبل شاهق على بعد عشرين فرسخًا من مليلية في اتجاه الجنوب، كان قد أسسها أحد أمراء بنى مرين لتكون حصنًا لتخزين الحبوب بها، وأرض دبدو نفسها جدباء لا تنتج غير القليل من القمح، ومصدر المياه بها عدة عيون تنحدر منها المياه من قمة الجبل. انظر: (مارمول كزبخال، مرجع سابق، جـ٢، ص٢٧٠-١٧٢).

(٦٦) ذكرها الإدريسي صفروى، وهى مدينة بالقرب من مدينة فاس، بينهما مرحلة واحدة، وهى مدينة متحضرة، بها عدة أسواق، حيث تقع على طريق التجارة بين فاس وتلمسان، ولكن أكثر أهلها فلاحون. الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٤٣، ٢٤٩؛ (مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ط١، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الدر المغربية للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص١٩٣).

(٦٧) هكذا كانت عادة اليهود حتى في بلاد الأندلس قبل طردهم أو هجرتهم منها، أن يسكنوا في أحياء خاصة بهم، مغلقة عليهم، لا يخالطهم فيها أحد، كما كانت لهم مقابر منعزلة عن مقابر المسلمين، وعن غيرهم من أهل الذمة. للمزيد راجع:

(Dufourcq, Charles-Emmanuel. La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination Aarabe, pp.١٨٢-١٨٣).

(٦٨) كانت المناطق التي يسكنها اليهود بالمغرب تعرف بالملاح، وقد كانت المنطقة الأولى التي أطلق عليها هذا الاسم في مدينة فاس عندما شرع السلطان أبو يوسف يعقوب(٦٥٨-٦٨٥هـ/١٢٥٩-١٢٨٦م) في إنشاء مدينة ملكية جديدة، خصصت قطعة أرض كانت تعرف بالملاح أو الأرض المالحة كمستقر للحرس الملكى، ثم خصصت بعد ذلك لسكني اليهود، فأصبحت كل منطقة يسكنونها تعرف بالملاح. راجع:=

=(Miller, Susan Gilson, Attilio Petruccioli, and Mauro Bertagnin. "Inscribing Minority Space in the Islamic City: The Jewish Quarter

of Fez (١٤٣٨-١٩١٢)." *Journal of the Society of Architectural Historians* ٦٠.٣ (٢٠٠١): ٣١٢-٣١٣).

(٦٩) حسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٧٠) أرنال مرسديس كاسيا، البلديون الفاسيون مجموعة من المسلمين الجدد من أصل يهودي، مج٩، ع٢٧، مجلة أمل، ترجمة عبد العزيز بل الفايدة، المغرب، دت، ص٢٨١.

(٧١) أَغمَات ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش، وهى مدينتان متقابلتان هما أغمات إيلان التي يسكنها اليهود، وأغمات وريكة التي يسكنها هوارة البربر. للمزيد راجع: (ياقوت الحموى، معجم البلدان، جـ١، ط١، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٢٥).

(٧٢) الإدريسي، مصدر سابق، جـ١، ص٢٣٥.

(٧٣) Miller, Susan Gilson (Others), Op. Cit., p, ٣١٢٠.

(٧٤) انظر الأشكال (١، ٢، ٣).

(٧٥) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٣٢٢.

(٧٦) ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص١٦١؛ الأنيس المطرب، ص٤٠٤.

(٧٧) العُقباني، مصدر سابق، ص١٤٣-١٤٥.

(٧٨) فاس الجديدة أسسها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق(٦٥٨-٦٨٥هـ/١٢٥٩-١٢٨٦)، وذلك لأسباب سياسية بينه وبين ملوك تلمسان، وجعلها سلطان المرينيين حاضرة ملكه بدلًا من مراكش، وسماها البيضاء، ولكنَّ السكان سموها فاس الجديدة. انظر: (الوزان، وصف أفريقيا، جـ١، ط٢، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٨١-٢٨٢).

(٧٩) المصدر نفسه، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٨٠) ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص١٦٢-١٦٣.

(٨١) تافيلالت قال البكري: تامفلت مدينة مبنية في سفح الجبل على رأس الصحراء، ذكرها كربخال فقال: تفلفلت على مسافة خمسة فراسخ من مدينة المعمورة، وأربعة فراسخ من المحيط، وتحيط بها الرمال الدقيقة. راجع: (البكري، المسالك والممالك، جـ٢، ط١، تحقيق أدريان فان

ليوفن واندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢، ص١٢٢٧؛ مارمول كربخال، مرجع سابق، جـ٢، ص١٣٩).

(٨٢) Sleuch N., Etude sur l'histoire des juifs au Maroc , *Archive Marocaine* ٦ (١٩٠٦): ٢٣.

(٨٣) مارمول كربخال، مرجع سابق، جـ٢، ص١٣٩.

(٨٤) أُزْمُورَةُ ثلاث ضمات متواليات وميم مشددة والواو ساكنة والراء مهملة، بلد بالمغرب في جبال البربر. راجع: (الحموي، معجم البلدان، جـ١، ص٢٠١).

(٨٥) Michael, Berenbaum (Editor), Encyclopaedia Juduica, Vol. ٢, Second Edition, *Keter published House Ltd* (٢٠٠٧): ٧٦٥-٧٦٧.

(٨٦) دَرعَةُ منطقة قديمة في جنوبي بلاد المغرب، بينها وبين سجلماسة أربعة فراسخ، وأكثر تجارها من اليهود. ترتبط درعة بأسطورة قديمة حول اليهود، تشير تلك الأسطورة إلى أن درعة كانت مقرًا لدولة يهودية مستقلة، إلا أن تلك الدولة سقطت أثناء الحروب الرومانية التي انتهت بسيطرة الرومان على جميع بلاد المغرب وحتى بلاد شنقيط(موريتانيا). راجع: (الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٥١٣؛ انظر أيضًا: Michael, Berenbaum. Op. Cit., Vol. ٦, p. ٥).

(٨٧) Loc. Cit.

(٨٨) سِجِلماسَةُ: مدينة جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس مسيرة عشرة أيام، وهي في منقطع من جبل دَرَن. للمزيد راجع: (الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص٢١٧).

(٨٩) غانة: مدينة كبيرةجنوب بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان الغربي، هي مجتمع التجار منها يدخلون بلاد التبر. للمزيد أنظر: (الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص١٨٤).

(٩٠) القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٩، ٤٢، ٥٧.

(٩١) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، مصدر سابق، ص٢٠٢.

(٩٢) الوزان، مصدر سابق، جـ٢، ص١٢٥-١٢٦؛ عبد الله استيتيتو، اليهود في المغرب قراءة سوسيو- تاريخية في المورفولوجيا الاجتماعية منطقة الريصاني نموذجا، الجمعة ٢٠١٣/٦/١٤

http://www.chiadmanews.com/news٨٧.html

(٩٣) الإدريسي، مصدر سابق، ص٢٣٥.

(٩٤) الكَلّوتَة: كلمة لاتينية معربة أصلها في اللاتينية Calotte، ومعناها القلنسوة، وقيل: إنها معربة من الفارسية وأصلها كُلُوتة، ومعناها البرقع. والراجح أنها لاتينية معربة، وجمعت على كلوتات أو كلاوت، وقد استحدثها الأيوبيون، فكانوا يرتدون كلوتات صفراء من الجوخ، فانتشرت في العالم الإسلامي، تلبس الكلوتات وحدها أو بعمامة، ولم يكن يلبسها إلا رجال الطبقة الرفيعة في المجتمع. للمزيد راجع: (رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٣٤٢-٣٤٣؛ رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٤٤٤-٤٤٥).

(٩٥) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط١، شرح صلاح الدين الهوارى، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٠٦هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٩٦) أرنال مرسديس كاسيا، مرجع سابق، ص٢٨٢.

(٩٧) إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص٩٤.

(٩٨) أشارت الموسوعة اليهودية "الجوديكا(Judaica)" إلى تعرض اليهود للاضطهاد في شمال أفريقيا خاصة في عهد الموحدين(٥١٥-٦٦٨هـ/١١٢١-١٢٦٩م)، ورغم ذلك الاضطهاد ظل تيار هجرة اليهود من أوروبا يتجه نحو بلدان العالم الإسلامي وعلى رأسها بلاد المغرب. كما توكد الجوديكا على الوضع الإيجابى الذي تمتع به اليهود في كثير من المجتمعات الإسلامية، وهو ما تعكسه المصادر الأدبية في العصور الوسطى، على خلاف ما يُصور بأن الأدب والفولكلور الإسلامي قد أساء إلى اليهود. كما أن ما تعرض له اليهود من اضطهاد كان في أوقات محددة ولظروف طارئة. للمزيد راجع:

(Michael, Berenbaum (Editor). Encyclopaedia Juduica. Second Edition, *Keter published House Ltd* ٢ (٢٠٠٧): ٢١٠, ٧٧٤).

(٩٩) **Corcos, David. "The Jews of Morocco under the Marinides."** ***The Jewish Quarterly Review*** **٥٤.٤ (١٩٦٤): ٥٤-٥٥.**

(١٠٠) **Sebag-Serfaty, Nicole. "Histoire et identité des Juifs du Maroc:" des siècles d'altérité paradoxale"."** ***Horizons Maghrébins-Le droit à la mémoire*** **٥٠.١ (٢٠٠٤):٤٧.**

(١٠١) Hirschberg, H.J. Op. Cit., pp. ٢٢٤-٢٢٥.
(١٠٢) Mazrui, Ali. A. Op. Cit., p. ٧٤.
(١٠٣) كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب من خلال نوازل الونشريسي، ط١، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص٣٦.
(١٠٤) إبراهيم حركات، مرجع سابق، جـ٢، ص٩٤.
(١٠٥) ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، مصدر سابق، ص٢١.
(١٠٦) إبراهيم حركات، مرجع سابق، جـ٢، ص١٠٣.
(١٠٧) المالقي، الشّهُب اللامعة في السياسة النافعة، ط١، تحقيق على سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٢٠٤-٢٠٨.
(١٠٨) الناصرى، مصدر سابق، جـ٤، ص٨١.
(١٠٩) بنو وقاصة من يهود ملاح فاس، وكانوا على علاقة وطيدة بالسلطان يوسف منذ صغره، يقضون له أموره الخاصة ويجالسونه وينادمونه، وعظم أمرهم عندما تولى السلطنة، فعظم جاههم وسلطانهم بين الحاشية وعند العامة إلى أن نكبهم السلطان يوسف وقضى على سيادتهم، ولم يبق منهم في ديوان الملك أحد. راجع: (الناصرى، مصدر سابق، جـ٣، ص٨٠-٨١، ١٠٠).

(١١٠) أبو محمد عبد الله بن أبى مدين شعيب بن مخلوف من بنى أبى عثمان إحدى قبائل كتامة، بيته بيت علم ودين، دخلوا في خدمة بنى مرين منذ دخولهم المغرب واستخلاصهم له، كان والده ممن تولوا الخراج والحسبة وغيرها من المناصب، كما كان موضع سر السلطان يوسف بن يعقوب. للمزيد راجع: (الناصرى، المصدر السابق، جـ٣، ص٩٩).

(١١١) نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجى، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني ٦٨٥-٧٠٦/١٢٨٦-١٣٠٦م، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٩١.
(١١٢) الناصرى، مصدر سابق، جـ٣، ص١٠٠.

(١١٣) الوزارة ورد في المصادر العربية أنها أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية. واختلف في معني الوزارة على ثلاثة أوجه الأول: أنها من الوِزر، وهو الثقل؛ لأن الوزير يحمل عن

الملك اثقاله، والثاني: أنها مشتقة من الأزر، وهو الظهر؛ لأن الملك يقوي بوزيره كقوة البدن بالظهر، وأما الثالث: أنها مشتقة من الوَزرَ، وهو الملجأ، أي الجبل الذي يُعتصم به. والوزارة ضربان، وزارة تفويض ووزارة تنفيذ. للمزيد راجع: (الأزهري، تهذيب اللغة، حققه: عبد السلام هارون، جـ١٣، ط١، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د. ت، ص٢٤٣؛ الجوهري، مختار الصّحاح"تاج اللغة وصحاح العربية"، حققه: أحمد عبد الغفور عطا، جـ٢، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص٨٤٥؛ الماوردي، قوانين الوزارة وسياسة الملك، حققه: رضوان السيد، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص١٣٧-١٤٤، الأحكام السلطانية، ص٣٠-٣٩؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٢٩٤-٢٩٩).

(١١٤) الحجابة والحاجب هو منصب إداري مشرقي مهمة صاحبه إدخال الناس على الخليفة حسب مقامهم وأهمية أعمالهم، وإفهام الداخلين على السلطان الآداب التي يجب اتباعها في حضرته. اختلف منصب الحاجب في المغرب عنه في المشرق؛ إذ صار من مهامه أن يحجب السلطان عن العامة والخاصة، وهو واسطة بين السلطان والوزراء، فارتفع شأن الحاجب بذلك. وفي عهد بني مرين عرف الحاجب بالمزوار، ومعناها: المُقدم، وله مهام كثيرة، منها: تنفيذ أوامر السلطان تصريف عقوباته وإنزال سطوته وحفظ المعتقلين في سجونه. للمزيد راجع: (ابن خلدون، المقدمة، ص٢٩٩-٣٠٢).

(١١٥) عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بنى مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في أسبانيا ٦٦٨-٨٦٩هـ/١٢٦٩-١٤٦٥م، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٠٤.

(١١٦) أرنال مرسديس كاسيا، مرجع سابق، ص٢٨٥.

(١١٧) الناصرى، مصدر سابق، جـ٤، ص٩٩-١٠٠.

(١١٨) Corcos, David. Op. Cit., p. ٢٧١.

(١١٩) عبد الله استيتيتو، مرجع سابق.

http://www.chiadmanews.com/news٨٧.html

(١٢٠) Corcos, David. Op. Cit., p. ٢٧١.

(١٢١) Ortega, Manuel L. Op. Cit., pp. ٢٧١-٢٧٣.

(١٢٢) مجهول، الإستبصار، ص٢٠٢.

(١٢٣) فهد بن محمد السويك، مواقف بعض العلماء المغاربة من أراء المغيلي في نازلة بناء بيعة لليهود بتوات، مج١٣، جـ٢، مجلة العصور، دار المريخ للنشر، لندن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١١١-١١٢.

(١٢٤) الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، جـ١٢، ط١، تخريج مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ، ص٣٧٦.

(١٢٥) البرزلي، جامع مسائل الأحكام لما نزل بالمفتين و الحّكام، جـ١، ط١، تحقيق محمد حبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٨٠.

(١٢٦) البرزلي، المصدر نفسه، جـ١، ص٢٨١.

(١٢٧) البرزلي، نفس المصدر ، جـ٣، ص٢٢١.

(١٢٨) الونشريسي، مصدر سابق، جـ٨، ص٤٣٧.

(١٢٩) إبراهيم حركات، مرجع سابق، جـ٢، ص١١٩-١٢٠.

(١٣٠) البرزلي، المصدر السابق، جـ٢، ص٢١. وهذا الأمر طرح قديمًا زمن المرابطين، وأجاب عنه ابن الحاج، بعدم جواز أخذ العشر من اليهود ما داموا في بلد واحد، ويؤخذ منهم عند انتقال يهود الأندلس إلى العدوة المغربية، ويهود المغرب عند انتقالهم إلى العدوة الأندلسية. انظر: (ابن الحاج، نوازل ابن الحاج التُجيبى، جـ٢، ط١، تحقيق أحمد شعيب اليوسفى، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠١٨، ص٢٩٥).

(١٣١) إبراهيم حركات، مرجع سابق جـ٢، ص ٩٤.

(١٣٢) Dufourcq, Charles-Emmanuel. l'Espagne Catalane au XIII et XIV siècle, p.١٤١.

(١٣٣) الوزان، مصدر سابق، جـ١، ص٢٨٢-٢٨٣.

(١٣٤) الوزان، نفس المصدر والجزء، ص ١٠٥، ١١٩، ١٤٠، ١٥٤، ١٦٤، ١٧٦، ١٨٥.

(١٣٥) الحطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، جـ٥، ط١، تحقيق محمد سالم محمد على واليدالي بن الحاج أحمد، دار الرضوان، نوكشوط، ٢٠١٠، ص٤٢-٤٥.

(١٣٦) Ashtor, Eliyahu. "The Jews in the Mediterranean Trade in the Later Middle Ages." *Hebrew Union College Annual* ٥٥ (١٩٨٤):١٦١.

(١٣٧) هشام فوزي عبد العزيز، يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م، ع١٥، مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية للنشر والتوزيع، تونس، ١٤١٦هـ/١٩٩٦، ص١٠٤.

(١٣٨) مصطفي نشاط، مرجع سابق، ص٦٦.

(١٣٩) Dufourcq, Charles-Emmanuel. l'Espagne Catalane au XIII et XIV siècle, p.١٤١

(١٤٠) Ashtor, Eliyahu. Op. Cit., p. ١٧٤; Dufourcq, Charles-Emmanuel. La vie quotidienne dans l'Europe medievale sous domination Arabe, p. ١٨٩.

(١٤١) فهد بن محمد السويك، مرجع سابق ص١١٢-١١٣. وهذه السيادة التي حققها اليهود في بلاد المغرب لا تختلف كثيرًا عما كان لهم من سطوة في بلاد الأندلس إبان عصر ملوك الطوائف(٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م)، وهو وضع ضج له الفقهاء والعلماء حتى صاغوه شعرًا، فقال الحسن بن الجد:

تحكمت اليهود على الفروج وتاهت بالبغال وبالسروج
وقامت دولة الأنذال فينا وصار الحكم فينا للعلوج
فقل للأعور الدجال هذا زمانك إن عزمت على الخروج

انظر: (خالد يونس الخالدي، تطبيق أحكام الذميين على اليهود في الأندلس بين الالتزام والتفريط، جـ١، مج١٥، مجلة العصور، دار المريخ للنشر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص٩٨-١٠١).

(١٤٢) وذكر الإمام سحنون أن مالكًا سئل عن تلك المسألة، فأجاب بشدة كراهة أن تعطى الدراهم والدنانير التي عليها اسم الله لأهل الذمة، وشدد في كراهة التعامل مع الصيارفة من أهل الذمة بتلك الدنانير. سحنون بن سعيد، المدونة الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، جـ٣، ص٢٩٤. راجع أيضًا: (البراذعى، التهذيب في اختصار المدونة،

جـ٣، ط١، دراسة وتحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٤٩-٢٥٠).

(١٤٣) الونشريسي، مصدر سابق، جـ٥، ص١٠٣، ٢٤٤، جـ٦، ص٤٣٣-٤٣٤. للمزيد من التفاصيل في أمر البيع والشراء من أهل الذمة راجع: ابن رشد، المقدمات الممهدات،جـ٢، ط١، تحقيق سعيد أحمد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٥٦-١٦١.

(١٤٤) يكون البيع فاسدًا من خمسة أوجه، منها: ما يرجع إلى الشيء المباع، ومنها ما يرجع إلى الثمن، ومنها ما يرجع إلى المتعاقدين على البيع، ومنها ما يرجع إلى صفة العقد، ومنها ما تبطله الحال التي وقع فيها عقد البيع. للمزيد راجع: (التلمساني، اللمع في الفقه، ط١، تحقيق شريف المرسى، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٢٥٠-٢٥٢).

(١٤٥) الونشريسي، مصدر سابق، جـ٢، ص١٦٦، جـ٦، ص٦٧.

(١٤٦) *Dufourcq, Charles-Emmanuel. La vie quotidienne dans l'Europe medievale sous domination Arabe, pp. ١٨٥-١٨٦.*

(١٤٧) الونشريسي، المصدر السابق، جـ٥، ص١٩٧-٢٠٠، ٢٤٤-٢٤٦.

(١٤٨) الونشريسي، نفس المصدر ، جـ٢، ص٢٥٣.

(١٤٩) القباب، شرح مسائل ابن جماعة التونسي في البيوع، ط١، دراسة وتحقيق على محمد إبراهيم بورويبة، دار ابن حزم، الجزائر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٨٤.

(١٥٠) البرزلي، مصدر سابق، جـ١، ص٦٣٣.

(١٥١) الونشريسي، مصدر سابق، جـ٢، ص٢٩، جـ٥، ص

(١٥٢) الونشريسي، نفس المصدر ، جـ٥، ص٢٥٠.

(١٥٣) البرزلي، المصدر السابق، جـ٥، ص١١.

(١٥٤) تازا: هي آخر بلاد المغرب الأوسط، وأول بلاد المغرب الأقصى، بلاد جبلية حصينة كثيرة الفاكهة خاصة التين والعنب، تسكنها قبائل من البربر تعرف بغَيَاتة، وبنيت في تازا مدينة الرباط في سفح أحد جبالها تشقه المياه العذبة، ويحيط بها سور عظيم. (مجهول،

الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص١٨٦؛ الحميرى، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط١، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥، ص١٢٨).

(١٥٥) الوزان، مصدر سابق، جـ١، ص٣٥٥.

(١٥٦) ابن فرحون، درة الغواص في محاضرة الخواص(ألغاز فقهية)، ط١، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، المكتبة العتيقة، تونس، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٢٤٣، ٢٦٧.

(١٥٧) *Dufourcq, Charles-Emmanuel. La vie quotidienne dans l'Europe medievale sous domination Arabe, pp. ١٨٥-١٨٦.*

(١٥٨) الونشريسي، مصدر سابق، جـ٢، ص٤٠١-٤٠٢.

(١٥٩) مصطفى نشاط، مرجع سابق، ص٦٩.

(١٦٠) حاييم الزعفراني، مرجع سابق، ص١٥٨.

(١٦١) الوزان، المصدر السابق، ص٩٨-٩٩، ١١٧، ١٤٢.

(١٦٢) حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص١٢٤-١٢٥، ١٢٨.

(١٦٣) كمال أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسى، ط١، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٦٦، ص٣٦.

(١٦٤) ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ط١، نشره محمد الفاسي وأدلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٥، ص٧.

(١٦٥) انظر في ذلك: (ابن جُزي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذاهب الشافعية والحنفية والحنبلية، ط١، تحقيق ماجد الحموي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٢٧٣-٢٧٥).

(١٦٦) وهنا يجب أن نشير إلى أن الحرية التي تمتع بها اليهود في بلاد المغرب على عهد بنى مرين فيما يخص الذمة التي صوُلحوا عليها -والتي تلزمهم بلباس وشارات محددة وغير ذلك من الأمور التي تميزهم عن المسلمين- فاقت إلى حد كبير ما كانوا يتمتعون به في

بلاد الأندلس؛ إذ طبقت عليهم أحكام الذمة بشكل صارم في بلاد الأندلس إلى حد تعرض بعضهم للمعاقبة بالضرب أو السجن لانتهاكه تلك الأحكام. انظر:

(*Dufourcq, Charles-Emmanuel. La vie quotidienne dans l'Europe medievale sous domination Arabe, p. ١٨٤*).

(١٦٧) البرزلي، مصدر سابق، جـ١، ص٤٦٧.

(١٦٨) البرزلي، نفس المصدر، جـ٢، ص٤٢-٤٤.

(١٦٩) الونشريسي، مصدر سابق، جـ٦، ص٦٩، ٤٢١؛ راجع أيضًا: العُقباني، مصدر سابق، ص١٦٧-١٧٠.

(١٧٠) الونشريسي، نفس المصدر، جـ١١، ص٣٠٠.

(١٧١) سورة الممتحنة: ٨ .

(١٧٢) الونشريسي، المصدر نفسه، جـ١١، ص٣٠١.

(١٧٣) ابن الأزرق، بدائع السِّلك في طبائع الملك، جـ٢، ط١، تحقيق على سامي النشار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨، ص٦٢٣-٦٢٤.

(١٧٤) سورة الممتحنة: ١.

(١٧٥) البرزلي، مصدر سابق، جـ٣، ص٥٧٢-٥٧٣.

(١٧٦) أنس بن مالك، الموطأ، باب حسن الخلق، ما جاء في المهاجرة، حديث رقم ٢/١٦، ص٩٠٨؛ الزيلعى، نصب الراية لأحاديث الهداية، باب الهبة، جـ٤، ص١٢٠؛ الشوكاني، نيل الأوطار، باب الهبه والهدية، ٢٤٧١، ص١١١٢. ورواه ابن طاهر من حديث عائشة بلفظ تهادوا تزدادوا حبًا. انظر ابن طاهر، مسند الشهاب، جـ١ ٤٢٥/٣٨٠.

(١٧٧) الونشريسي، مصدر سابق، جـ١١، ص١١١-١١٢.

(١٧٨) البرزلي، مصدر سابق، جـ٣، ص٢٢٣.

(١٧٩) البرزلي، المصدر نفسه، جـ٤، ص٤٥٠.

(١٨٠) الونشريسي، المصدر السابق، جـ٧، ص٥٢-٥٣.

(١٨١) سورة المائدة: ٥.

(١٨٢) الونشريسي، نفس المصدر، جـ٢، ص٩-١٩.

(١٨٣) البرزلي، المصدر السابق، جـ٣، ص٢٧٥-٢٧٦.

(١٨٤) العُقباني، مصدر سابق، ص١١٤.

(١٨٥) سورة الواقعة: ٧٩.

(١٨٦) البرزلي، المصدر السابق، جـ٣، ص٢٨٤-٢٨٥.

(١٨٧) هو أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الله ثلاثًا بن عبد العزيز بن سلمون الكناني الغرناطي شيخ عصره علمًا وفضلًا وخلقًا، كان إمامًا في كثير من العلوم ولد سنة ٦٦٩هـ/ وتوفي شهيدًا في واقعة طريف سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. انظر: (مخلوف، مصدر سابق، جـ١، ص٣٠٧، ترجمة رقم٧٨١).

(١٨٨) ابن سلمون، العقد المنتظم للحكام فيما يجرى بين أيديهم من العقود والأحكام، ط١، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٨٣.

(١٨٩) هو أمر مقرر لا خلاف فيه بين الفقهاء، لذا لا نجد له ذكر لا عند البرزلي ولا عند الونشريسي، فرجعنا في أمر الشفعة إلى كتاب التهذيب. راجع: (البراذعى، مصدر سابق، جـ٤، ص١٢٥).

(١٩٠) الونشريسي، مصدر سابق، جـ١٠، ص٥٦.

(١٩١) البرزلي، مصدر سابق، جـ٤، ص١٠٧. انظر أيضًا:

Dufourcq, Charles-Emmanuel. La vie quotidienne dans l'Europe medievale sous domination Arabe, p. ١٨٦,

(١٩٢) سورة المائدة: ٤٢.

(١٩٣) البرزلي، المصدر نفسه، جـ٤، ص١٠٧-١٠٨.

(١٩٤) الونشريسي، مصدر سابق، جـ١٠، ص١٢٩.

(١٩٥) الونشريسي، نفس المصدر والجزء، ص٣٠٩-٣١٠.

(١٩٦) البرزلي، المصدر السابق، جـ٦، ص١٤٨.

(١٩٧) سورة الإنسان:٨ .

(١٩٨) البرزلي، المصدر نفسه، جـ٥، ص٤٤٢-٤٤٤.

(١٩٩) الونشريسي، المصدر السابق، جـ٧، ص٥٩.

(٢٠٠) البرزلي، المصدر السابق، جـ٥، ص٤٤٢-٤٤٤؛ الونشريسي، المصدر السابق، جـ٧، ص٦٥-٦٦.

(٢٠١) اخرجه مسلم في صحيحه ٢٠١/٢، وأحمد في مسنده ٦٨،١٤٩/٦، والحاكم في المستدرك ١٢٢/٢، والدارمي في سننه ٢٣٣/٢، وابن ماجه في سننه ١٩٣/٢

(٢٠٢) الونشريسي، المصدر السابق، جـ٧، ص٤٣٨-٤٣٩؛ جـ٨، ص٦٠-٦١.

(٢٠٣) الونشريسي، نفس المصدر، جـ٨، ٦١-٦٢.

(٢٠٤) الونشريسي، المصدر نفسه، جـ٨، ص٨٤.

(٢٠٥) البرزلي، مصدر سابق، جـ٢، ص٢٩٤.

(٢٠٦) الونشريسي، نفس المصدر ، جـ٢، ص٤٨٩.

(٢٠٧) الونشريسي، نفس المصدر، جـ٣، ص٨٧-٨٨، ٢٥٢.

(٢٠٨) الونشريسي، نفس المصدر، جـ٢، ص٤٣٥.

(٢٠٩) البرزلي، مصدر سابق، جـ٦، ص١٨٤.

(٢١٠) الونشريسي، المصدر السابق، جـ٢، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٢١١) للمزيد راجع: ابن الأزرق، مصدر سابق، جـ٢، ص٦٢١-٦٢٤.

(٢١٢) العُقباني، مصدر سابق، ص١٦٢-١٦٣.

(٢١٣) البرزلي، مصدر سابق، جـ٦، ص،٢٨٠، ٣٢٩-٣٣٤. الونشريسي، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٦٢، ٣٢٥؛ العُقباني، المصدر السابق، ص١٦٤.

(٢١٤) إبراهيم حركات، مرجع سابق، جـ٢، ص٩٤.

(٢١٥) Michael, Berenbaum (Editor). Encyclopaedia Juduica, Second Edition, *Keter published House Ltd* ٣ (٢٠٠٧):١٦٢.

إن تمتع اليهود بهذا القدر من الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية في معابدهم الخاصة في كنف الدولة الإسلامية ليس بالأمر الجديد أو المستحدث في ظل بنى مرين، وإنما عاش اليهود هذا المناخ من الحرية قبل ذلك في كنف الدولة الإسلامية ببلاد الأندلس، غير أنه لم يسمح لهم ببناء معابد جديدة غير التي كانت قائمة بالفعل. انظر:

(Dufourcq, Charles-Emmanuel. La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination Arabe, p. ١٨٣).

(٢١٦) الونشريسي، مصدر سابق، جـ٨، ص٥٨-٥٩، ص٢٦٢.

(٢١٧) توات: تقع في جنوب غرب الجزائر، وكانت تمثل إقليمًا كبيرًا في العصور الوسطى، وتوات محطة تجارية كبيرة تربط بين السودان الأوسط والغربي من جانب، وبلدان الشمال الأفريقي ومصر من جانب آخر. وتعد توات من المناطق القديمة السابقة على ظهور الإسلام وانتشاره في المنطقة، وقد تمتع ذلك الإقليم بقدر كبير من الاستقلال خلال العصور الوسطى، ويضم الإقليم العديد من المدن منها تمنطيط وتميمون وتسابيت وعين صالح. انظر: (الوزان، مصدر سابق، جـ٢، ص٥٠٥-٥٠٨؛ عبد العزيز الفشتإلى، مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفاء، ط١، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافية، المغرب، د.ت، ٧٣-٧٨).

(٢١٨) مرمول كزبخال، إفريقيا، مرجع سابق، جـ٢، ط١، ص١٨.

(٢١٩) كمال أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية، ص٣٧.

(٢٢٠) محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي من كبار علماء بلاد المغرب، ولد في بلدة مغيلة سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م، وقد تتلمذ على أيدي كبار فقهاء عصره، وعلى رأسهم الفقيه عبد الرحمن الثعالبي، والشيخ يحيى بن بدير، وغيرهما، وقام برحلات علمية تنويرية شملت بلاد المغرب والسودانين الأوسط والغربي، وكانت له العديد من المراسلات العلمية مع فقهاء عصره، لعل أبرزها كانت مع السيوطي في مصر. توفي المغيلي سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م في توات عقب مقتل ولده الشيخ عبد الجبار من قبل اليهود. للمزيد راجع: (أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، جـ٢، ط١، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٩، ص٥٧٧-٥٧٩؛ ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ط١، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٢٢٦هـ/١٩٠٨، ص٢٥٥).

(٢٢١) حول مواقف العلماء من تلك القضية راجع: (فهد بن محمد السويكت، مواقف بعض العلماء المغاربة من آراء المغيلي في نازلة بناء بيعة لليهود بتوات، جـ٢، مج١٣، مجلة العصور، دار المريخ للنشر، لندن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١١٤-١٢٢).

(٢٢٢) الوزان، مصدر سابق، جـ٢، ص١٢٥-١٢٦، ١٢٩، ١٣٤.

(٢٢٣) الوزان، نفس المصدر، جـ١، ص٨٤.

(٢٢٤) أبو محمد عبد الله بن أبي بكر مفتى توات، وقد عارض المغيلي في فتواه بخصوص يهود توات، وكان خلاصة قوله في تلك النازلة أن علماء الإسلام وإن أنكروا على أهل الذمة بعض أفعالهم إلا أنهم لم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروه، ورجع في ذلك إلى بعض العلماء كابن عرفة وابن يونس، وغيرهما. راجع: (الونشريسي، مصدر سابق، جـ٢، ص٢١٤-٢١٩).

(٢٢٥) الونشريسي، نفس المصدر، جـ٢، ص٢١٤.

(٢٢٦) الونشريسي، المصدر نفسه، ص٢١٦-٢١٧.

(٢٢٧) الونشريسي، نفس المصدر والجزء، ص٢٣٢.

(٢٢٨) كان ابن سهل قد ميّز في حكمه في تلك النازلة بين أهل الصلح وأهل العنوة، فأهل الصلح يقرون على ما هو موجود من دور العبادة دون أن يحدثوا فيها أية زيادات، ولا يسمح لهم بإحداث كنائس في مدائن المسلمين، وإن هدمت كنائسهم لا يعاد بناؤها. أما أهل العنوة فلا تترك لهم كنيسة إلا هدمت ولا يحق لهم أن يحدثوا كنيسة وإن كانوا منقطعين عن المسلمين لا يخالطونهم؛ لأنهم ليس لهم عهد يوفي لهم به، وإنما صار لهم عهد حرمت به دماؤهم عندما أخذت الجزية منهم. للمزيد راجع: (ابن سهل، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى، جـ٢، ط١، تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجري، ب.د.ن، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، جـ٢، ص٧٧٣-٧٧٥).

(٢٢٩) الطرطوشي، سراج الملوك، مج٢، ط١، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٥٥٠.

(٢٣٠) أحمد بابا، مصدر سابق، ص٥٧٧.

(٢٣١) المهماز: هي عبارة عن حديدة تكون في عقب الراكب ينخس بها الدابة لتسرع في المشي.

(٢٣٢) الونشريسي، مصدر سابق، جـ٢، ص٢٤٨، ٢٥٤-٢٥٦، ٢٥٩.

(٢٣٣) الونشريسي، نفس المصدر والجزء، ص٢٥٠.

(٢٣٤) الونشريسي، نفس المصدر والجزء، ص٢٤٩-٢٥٠.

(٢٣٥) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢٣٦) الونشريسي، المصدر نفسه، جـ١١، ص١٥٤-١٥٥.

(٢٣٧) الونشريسي، المصدر نفسه، جـ١٢، ص٤٧-٤٨.

(٢٣٨) Fred, Skolink and Michael, Berenbaum (editors). Encyclopaedia Juduica, Second Edition, *Keter Published House Ltd* ٤ (٢٠٠٧): ٣٢٩-٣٣٠, ٤٣٢, ٥٠٣, ٥٢٥.

انظر شكل (٤) بالملحق.

ولكنّ بعض أفرد تلك العائلات قد قرر مغادرة المغرب إلى جهات أخرى، كالعودة مرة أخري إلى المناطق الشمالية من أوروبا أو الاستقرار في أراضى الدولة العثمانية، كعائلة عطار(Attar) أو أبياتار(Abiatar)، وهى عائلة يهودية من أصل أسباني انتقل أفرادها إلى المغرب خلال القرنين ٨-٩هـ/١٤-١٥م، وبداية من القرن ١١هـ/١٧م بدأ اسم هذه العائلة ينتشر في أمستردام ولندن وهامبرج، وآسيا الوسطى. للمزيد راجع.
(Michael, Berenbaum. Encyclopaedia Juduica. ٢, p. ٦٢٩, ٦٤٥-٦٤٦).

قائمة المصادر والمراجع

أولًا-المصادر

- أحمد بابا، أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر أقيت التنبكتى ت١٠٣٦هـ/١٦٢٧م، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط١، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٩.
- الإدريسي، أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس ت٥٦٠هـ/١١٦٤م، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢.
- ابن الأزرق، محمد بن على بن محمد بن على بن قاسم الغرناطي المالقي ت٨٩٦هـ/١٤٩١، بدائع السِّلك في طبائع الملك، تحقيق على سامي النشار، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨.
- البراذعى، خلف بن أبى القاسم محمد الأزدي القيرواني من علماء القرن الرابع الهجري، التهذيب في اختصار المدونة، دراسة وتحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم، ط١، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي ت٨٤١هـ/١٤٣٨م، جامع مسائل الأحكام لما نزل بالمفتين و الحّكام، تحقيق محمد حبيب الهيلة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠.

- البكرى، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢.
- التلمساني، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر العجيسي ت٧٨١هـ/١٣٧٩م، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغرا، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ابن جُزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن عبد الله الكلبي ت٧٤١هـ/١٣٤٠م، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذاهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق ماجد الحموي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- ابن الحاج، محمد بن أحمد بن الحاج التجيبي القرطبى ت٥٢٩هـ/١١٣٤م، نوازل ابن الحاج التُجيبى، تحقيق أحمد شعيب اليوسفى، ط١، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠١٨
- الحطاب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي المغربي ت٩٥٤هـ/١٥٤٧م، مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل، تحقيق محمد سالم محمد على واليدالي بن الحاج أحمد، ط١، دار الرضوان، نوكشوط، ٢٠١٠،
- ابن خلدون، أبو زيد وليّ الدين بن عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.

- ابن إبي زرع، علي بن عبد الله الفاسي ت كان حيًا سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، ط١، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢.
- ---------، الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، ط١، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢.
- الزيلعي، جمال الدين أبى محمد عبد الله بن يوسف الحنفى ت٧٦٢هـ/١٣٦٠، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشية النفيسة المهمة بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- ابن سلمون، عبد الله بن على بن عبد الله بن عبد العزيز الكناني ت٧٢١هـ/١٣٢١م، العقد المنتظم للحكام فيما يجرى بين أيديهم من العقود والأحكام، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- ابن سهل، أبي الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسدى ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى، تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجرى، ط١، ب.د.ن، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م،
- الشوكاني، محمد بن على بن محمد اليمني ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار، خرج أحاديثه رائد بن صبري بن أبي علفة، ط١، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤.
- ابن طاهر، محمد بن سلامة بن جعفر بن على القضاعي ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م، مسند الشهاب، تحقيق حمدى عبد المجيد السّلفي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الطرطوشى، أبى بكر محمد بن الوليد الفهرى ت٥٢٠هـ/١١٢٦، سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ت٤٦٣هـ/١٠٧١م، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- عبد العزيز الفشتإلى، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم كريم، ط١، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافية، المغرب، د.ت.
- العُقباني، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد التلمساني ت٨٧١هـ/١٤٦٧م، كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق على الشنّوفي، ط١، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق، ١٩٦٧.
- ابن غازى، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن على ت ٩١٩هـ/١٥١٣م، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين أبو الحسن على بن محمد ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن يحيي الدين الجنّان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- القرافى، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر ت١٠٠٨هـ/١٥٩٩م، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق على عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- القزوينى، زكريا بن محمد بن محمود ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م، أثر البلاد وأخبار العباد، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن على بن الخطيب القسنطيني ت٨١٠هـ/١٤٠٨م، أنس الفقير وعز الحقير، نشره محمد الفاسي وأدلف فور، ط١، المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٥.
- مالك بن أنس، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي الحميري ت١٧٩هـ/٧٩٥م، موطأ مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٩٥م.
- مجهول، القرن ٦هـ/١٢م، الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، ط١، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥.
- مخلوف، محمد بن محمد بن قاسم ت١٣٦٠هـ/١٩٤١م، شجرة النور الذكية في طبقات المالكية، تحقيق عبد المجيد خيالي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن على التميمي ت٦٤٧هـ/١٢٥٠م، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهوارى، ط١، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٠٦هـ/٢٠٠٦م.
- ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المليتى المديونى التلمسانى ت١٠٢٨هـ/١٦١٨م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ط١، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- الملزوزي، عبد العزيز بن محمد النجار المكناسى ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط١، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٠٠هـ.
- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الدرعي ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ط١، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م
- النووي، أبو زكريا يحيي بن شرف بن مرّي ت٦٧٦هـ/١٠٨٣م، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط١، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- الوزان، الحسن بن محمد الزياتي الفاسي ت٩٥٧هـ/١٥٥٠م، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.
- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى ت٩١٤هـ/١٥٠٨م، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج محموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجى، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله الرومى البغدادى ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

ثانياً-المراجع العربية

- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ط١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- أحمد أيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، ط١، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٦.
- أنور محمود زناتي، كتب النوازل مصدراً للدراسات التاريخية والفقهية في المغرب والأندلس، ط١ دار عين، الرباط، ٢٠١٤م.
- حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب(تاريخ، ثقافة، دين)، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغنى أبو العزم، ط١، مكتبة المهتدين، الدر البيضاء، ١٩٨٧.
- حسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط١، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- رشاد الشامى، اليهود واليهودية في العصور القديمة بين وهم الكيان السياسى وأبدية الشتات، ط١، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠١.
- روجيه لو تورنو، فاس في عصر بنى مرين، ترجمة نقولا زيادة، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٧.
- رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢.
- عبد العزيز بعبدالله، معلمة الفقه المالكي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- عمر عبد الكريم الجيدى، المغاربة واستحداث مصدر تشريعى جديد، ضمن كتاب مباحث في المذهب المالكى بالمغرب، ط١، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣.
- فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين(٧-٩هـ/١٣-١٥م)، ط١، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١.
- كمال أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسى، ط١، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٦٦.
- ----------، جوانب من حضارة المغرب من خلال نوازل الونشريسي، ط١ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧.
- ليوبولد تورَّس بالباس، المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمة إليو دورو دي لابنيا، راجعه، نادية محمد جمال الدين وعبد الله بن إبراهيم العمير، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣.
- مرمول كزبخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجى وآخرون، ط١، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٩.
- مصطفى الصمدي، فقه النوازل عند المالكية تاريخً ومنهجًا، ط١، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ثالثاً-الدوريات العربية

- أرنال مرسديس كاسيا، البلديون الفاسيون مجموعة من المسلمين الجدد من أصل يهودي، ترجمة عبد العزيز بل الفايدة، مج٩، ع٢٧، مجلة أمل،المغرب، ٢٠٠١.
- خليل جليل بخيت القيسى، الإنجازات الحضارية لدولة بنى مرين في المغرب الأقصى للمدة من ٦٦٨-٨٦٩هـ، مج١٩، ع٣٧، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد، د.ت
- عابد بن محمد السيفانى، معنى النوازل والاجتهاد فيها، العدد١، مجلة الأصول والنوازل، السعودية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩.
- عبد الحق بن أحمد حميش، مدخل إلى فقه النوازل، العدد١٠، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ٢٠٠٩.
- عبد الله استيتيتو، اليهود في المغرب قراءة سوسيو- تاريخية في المورفولوجيا الاجتماعية منطقة الريصاني نموذجا، الجمعة ٢٠١٣/٦/١٤

http://www.chiadmanews.com/news٨٧.html

- فهد بن محمد السويكت، مواقف بعض العلماء المغاربة من أراء المغيلي في نازلة بناء بيعة لليهود بتوات، مج١٣، جـ٢، مجلة العصور، دار المريخ للنشر، لندن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- محمد الحبيب الهيلة، مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن ٥/١١ إلى نهاية القرن٩/١٥، العدد٩، مجلة دراسات أندلسية، المطبعة المغاربية للنشر والتوزيع، تونس، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- محمد بن شريفة، وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض، العدد٢٦٤، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٨٧.

- نور الدين غرداوي، كتب الفتاوى مصدرًا لكتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمغرب الأوسط نوازل المازونى نموذجًا، العدد ١٤، مجلة الدراسات التاريخية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ٢، الجزائر، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

رابعاً-المراجع الأجنبية

- Dufourcq, Charles-Emmanuel. L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIII' et XIV siècles. *Presses Universitaires*. Paris. ١٩٦٦.
- ----------. La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination Arabe, *Hachette Book Group*. France. ١٩٧٨.
- Fred Skolink and Michael Berenbaum (Editors). Encyclopaedia Juduica. Vol.٤. Second Edition, *Keter published House Ltd*. Israel. ٢٠٠٧.T
- Isidore Singer (Managing Editor), The Jewish Encyclopedia (Judaica), Vol.I. *Funk& Wagnalls Company*, New York& London, ١٩٠١.
- Michael Berenbaum (Editor), Encyclopaedia Juduica, Vol.٣. Second Edition, *Keter published House Ltd*. Israel. ٢٠٠٧.
- ----------. Encyclopaedia Juduica, Vol.٢. Second Edition, *Keter published House Ltd*. Israel. ٢٠٠٧.
- ----------. Encyclopaedia Juduica. Vol.٥. Second Edition. *Keter published House Ltd.* Israel. ٢٠٠٧.
- Ortega, Manuel L. Los Hebreos en Marruecos, *University of Toronto*, Canada. ١٩١٩.
- Philippe Buc, Martha Keil and John Tolan(editors). Jews and Christians in medieval Europe: the Hhistoriographical

Legacy of Bernhard Blumenkranz. *Brepols Publishers n.v., Turnhout.* Belgium ٢٠١٥.

- **Todeschini, Giacomo. "Christian perceptions of jewish economic activity in the Middle Ages.":Wirtschaftsgeschichte der mittelalterlichen Juden Fragen und Einschätzungen". *Historisches Kolleg*. München. (٢٠٠٨).**

خامساً-الدوريات الأجنبية

- **Abitbol, Michel. "Juifs d'Afrique du Nord et expulsés d'Espagne après ١٤٩٢". *Revue de l'histoire des religions*. ٢١٠.١. (١٩٩٣).**
- **Ashtor, Eliyahu. "The Jews in the Mediterranean Trade in the Later Middle Ages." *Hebrew Union College Annual*. ٥٥ (١٩٨٤).**
- **Campbell, Christopher L., et al. "North African Jewish and non-Jewish populations form distinctive, orthogonal clusters." *Proceedings of the National Academy of Sciences* ١٠٩.٣٤ (٢٠١٢).**
- **Cohen, Mark R. "Correspondence and social control in the Jewish communities of the islamic world: A letter of the nagid Joshua maimonides." *Hîstôry¯ a yêhûdît= Jewish history* ١.٢ (١٩٨٦).**
- **Corcos, David. "The Jews of Morocco under the Marinides." *The Jewish Quarterly Review* ٥٤.٤ (١٩٦٤): ٢٧١-٢٨٧.**
- **----------. "The Jews of Morocco under the Marinides (Continued)." *The Jewish Quarterly Review* ٥٥.١ (١٩٦٤).**
- **Goitein, Shelomo Dov. "The medical profession in the light of the Cairo Geniza documents." *Hebrew Union College Annual* ٣٤ (١٩٦٣).**

- **Grayzel, Solomon. "Jews and the ecumenical councils." *The Jewish Quarterly Review* ٥٧ (١٩٦٧).**
- **Hirschberg, HZ JW. "The problem of the Judaized Berbers." *The Journal of African History* ٤.٣ (١٩٦٣).**
- **Kuttner, Stephan, and Antonio García Y. García. "A new eyewitness account of the Fourth Lateran Council." *Traditio* ٢٠ (١٩٦٤).**
- **Mazrui, Ali A. "When Spain Expelled the Jews and the Moors... A Lesson in History." *Africa Today* ٢٠.١ (١٩٧٣).**
- **Meakin, JE Budgett. "The Jews of Morocco." *The Jewish Quarterly Review* ٤.٣ (١٨٩٢).**
- **Miller, Susan Gilson, Attilio Petruccioli, and Mauro Bertagnin. "Inscribing Minority Space in the Islamic City: The Jewish Quarter of Fez (١٤٣٨-١٩١٢)." *Journal of the Society of Architectural Historians* ٦٠.٣ (٢٠٠١).**
- **Sebag-Serfaty, Nicole. "Histoire et identité des Juifs du Maroc:" des siècles d'altérité paradoxale"." *Horizons Maghrébins-Le droit à la mémoire* ٥٠.١ (٢٠٠٤).**
- **Schroeter, Daniel J. "The shifting boundaries of Moroccan Jewish identities." *Jewish social studies* ١٥.١ (٢٠٠٨).**
- **Sleuch (N) , Etude sur l'histoire des juifs au Maroc , Archive marocaine, vol. VI , ١٩٠٦.**

رسائل جامعية

- **نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني "٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦-١٣٠٦م"، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.**